

تحدي الإنسان، وردُّ الله

(دراسة تأملية)

الشمس

نبيل سمعان يعقوب



تحدي الإنسان، وردُّ الله

(دراسة تأملية)

بقلم، نبيل سمعان يعقوب

الطبعة الأولى: ٢٠٢٠ - دمشق.

الكتاب : تحديّ الإنسان، وردُّ الله.

المؤلف: القس، نبيل سمعان يعقوب

بريد إلكتروني: nabil11961@gmail.com

الترقيم الدولي ISBN: 978-9933-0-0965-6

كلّ ما وضع بين قوسين هو اقتباسٌ واستشهادٌ من الكتاب المقدس ترجمة (البستاني - فندايك)، وقد وُضِعَ كما وُرِدَ في الكتاب المقدّس حرفياً، دون أيّ تبديل في موضع الحركات.

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة للمؤلف وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه دون إذن المؤلف.

التنفيذ الطباعي: مطبعة باب توما

دمشق - سوريا

تحديّ الإنسان، وردُّ الله

المحتوى

- ٧ مقدمة.
- ٨ الفصل الأول، الخلق، وأهداف الله.
- ١١ الفصل الثاني، السقوط، وبداية التحدي.
- ١٦ الفصل الثالث، التحدي الأول، والطوفان.
- ٢٢ الفصل الرابع، التحدي الثاني، وبليلة الألسنة.
- ٢٧ الفصل الخامس، التحدي الثالث، ونار من السماء.
- ٣٥ الفصل السادس، التحدي الرابع، وغرق فرعون ومركباته.
- ٤٢ الفصل السابع، التحدي الخامس، والسبي البابلي.
- ٥١ الفصل الثامن، التحدي السادس، ودمار أورشليم.
- ٥٨ الفصل التاسع، التحدي السابع، والضيق العظيمة.
- ٨٧ الفصل العاشر، التحدي الثامن، واحتراق الأرض والمصنوعات التي فيها.
- ٩٤ المراجع

مقدّمة الكاتب

منذ البدء كان قصد الله من الخلق أن يدخل الإنسان في شركة معه ليتمتع بمحبته، ويعيش خالداً فرحاً. لكنّ الإنسان أخطأ بعدم تجاوبه مع محبة الله، فتشوهت العلاقة بينه وبين الله، وإذ تمادى الإنسان في أخطائه قرر أن يشق عصا الطاعة، ويعلن تمرده على الله في كل مراحل تاريخه. وبالغ في تحديه هذه الأيام، عندما شرعن الزواج المثلي ناسفاً مفهوم العائلة بحسب فكر الله، وبدل نظام الله بالنظام الرقمي، وأعلن نفسه إلهاً بدل الله. فتحول الإنسان من كائن مخلوق على صورة الله، مدعو للشركة مع الله الذي أحبه ومنحه القيمة، إلى مجرد رقم لا شركة له مع الله، يستمد قيمته من بياناته المخزنة على رقائق الكمبيوترات.

أي منطق هذا، أن يتحدى الإنسان الله وهو ليس أكثر من دقة يُحسب في الميزان.

أي منطق هذا، أن تقول الجبلة لجابلهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هَكَذَا؟»

قال ارميا النبي: «٣ فَتَزَلْتُمْ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ عَمَلًا عَلَى الدُّوَلَابِ. ٤ فَفَسَدَ الْوِعَاءُ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ فَعَادَ وَعَمِلَهُ وَعَاءٌ آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنِي الْفَخَّارِيُّ أَنْ يَصْنَعَهُ» (ارميا ١٨).

هذا الكتاب يتحدث عن مجموعة من التحديات البشرية لله منذ بداية التاريخ، وحتى نهاية الزمان. فيها نجد إصرار الإنسان على تحدي الله باحتقار محبته، وطريقة رد الله على تحدي الإنسان.

أما النتيجة فقد أعلنها الكتاب المقدس: «لَا يَزِيدُ غَضَبُ الرَّبِّ حَتَّى يُجْرِيَ وَيُقِيمَ مَقَاصِدَ قَلْبِهِ. فِي آخِرِ الْأَيَّامِ تَفْهَمُونَ فَهْمًا» (ارميا ٢٣: ٢٠).

القس، نبيل سمعان يعقوب

الفصل الأول

الخلق وأهداف الله

« ١ في البَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... ٢٦ وَقَالَ اللهُ: «تَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَسَبَّهْنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ». ٢٧ فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ٢٨ وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَتَمِرُوا وَاكْتُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ» (تكوين ١).

في الأزلية السحيقة، في البدء الذي لا بدء له، هناك في ذهن الله تصوّرت فكرة عن خلق الإنسان. أحب الله فكرته لصالحها، ومن شدة محبته لفكرته، عندما تمّمها، خلق الإنسان على أبهى صورة، على صورته.

وبخلاف كلّ الخليقة، وتميزاً عنها، من شدة محبته للإنسان، نَفَخَ ١ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً، ومخلوقاً خالداً. ولأن آدم يحتاج للمعرفة، وليس لديه اختبارات يتعلم منها، زوده بكل ما يحتاجه من معرفة، ليدرك من هو، وأين يعيش، وكيف يتواصل مع كل ما يحيط به.

ثُمَّ صَنَعَ لَهُ جَنَّةً تَحْوِي كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ، ووضعه فيها. ولأنه ليس جيّداً أن يكون آدم وحده، صنع له حواء، مُعِينًا نَظِيرَهُ. وَأَخْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى

١- إن العبارة «نفخ في أنفه نسمة حياة» لا تدل على أن نفس الإنسان البشرية انبثقت من الله، لأن هذا يعني إن الجوهر الإلهي قابل للانقسام والتجزؤ، وهذا مرفوض. لكنها تدل على إعطاء الله للإنسان طبيعة روحية غير طبيعته المادية، وقد تمّ ذلك بطريقة مميزة عن بقية الكائنات الحية ليسمو عنها. أما عن كونه «نفساً حيةً» أو كائناً حياً، فلا يعني شيئاً، لأن الحيوانات أيضاً هي ذات نفس حية «وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية» (تكوين ١: ٢٠) + «وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية» (تكوين ١: ٢٤).

امْرَأَةً لَّانْتَهَى مِنْ امْرِئٍ أَخَذَتْ». لِذَلِكَ يَثْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.

وسَلَّطَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَحَوَاءَ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، وَأَعْطَاهُمَا الْحَرِيَّةَ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارِ.

ولأنَّ الإنسانَ فِكرته التي أحبها، إذ اكتملت عطاياها للإنسان، تَوَجَّهَ بِأَنَّ صَارَ فِي شَرِكَةِ مَعَهُ.

كانت غاية الله من الخلق، أن يكون الإنسان الذي أحبه خالداً، وفي شركة معه بملء إرادته، ليتمتع بأفراحه. ولتتميم هذه الغاية أدخل الله آدم وحواء في اختبار طاعةٍ بسيطٍ، فأوصاه: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، ١٧ وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٣).

لم تكن هذه الشجرة مميزة عن بقية الأشجار لتصير فخاً لآدم وحواء، فالكتاب المقدس يقول: «٩ وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ وَشَجَرَةُ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَشَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (تكوين ٢).

إنها شجرة تشبه إخوتها في جمالها، وهي في ذاتها ليست خيراً أو شراً. إنما أطلق عليها هذا الاسم لأن قبول الأكل من ثمرها كشجرة منع الأكل منها، هو ما يقود الإنسان للتمرد على الله، وبالتالي لاختبار معنى الشر.

أما عن وجودها في جنة عدن فله دلالة رمزية مهمة، إذ يؤكد أن مبدأ الحساب هو جزء من عدالة الله. وأن الإنسان الذي مُنح حرية الاختيار في طاعة الله أو عصيانه، حريته ليست بلا ثمن، إذ سيحاسب عليها.

والآن تخيل معي هذا المشهد. بقعة جغرافية من أجمل بقاع الأرض، مزروعة بكل ما هو حسن، أنهارها مملوءة بالأسماءك بديعة الألوان، أشجارها جميلة، شهية للنظر، وجيدة للأكل. أعشابها زاهية الألوان. طيورها تصدح كل الوقت بأعذب الألحان. حيواناتها جميعاً أليفة وخاضعة للإنسان. يسكن فيها زوج

١- إن الشجرة في ذاتها ليست قادرة على إعطاء الحياة الأبدية للإنسان، لكن لأن الله دعاها (شجرة الحياة) فإن كل من يأكل منها ينال الحياة الأبدية، وذلك من الله، وليس من قوتها الذاتية.

من البشر فقط، هما آدم، وحواء امرأته. لا يوجد فيها حروب، أو خصومات، أو من يزعج بكلامه أو تصرفاته. لا ضيق من طبيعة، أو حيوان، أو إنسان. كان آدم كاملاً في بنيته الجسدية، والعقلية. فهو لم يُخلق طفلاً ضعيفاً أو عاجزاً يحتاج لمن يرعاه أو يهتم به. ولم يكن يعاني من الأمراض أو الآلام. إنه من البدء قادرٌ على خدمة نفسه وتدبير أموره بما لديه من معرفة مكتسبة من الله. وهكذا كانت حواء. ولكليهما لغة يتكلمان بها أحدهما مع الآخر.

في هذه الجنة، وفي هذه الظروف المثالية الرائعة، كان الربّ الإله يتراءى لآدم وحواء بهيئة بشرية، فيتكلمان معه، ويقضيان أطيب الأوقات في محضره. « ٢٥ وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ » (تكوين ٢). لأن الخجل هو ثمرة السقوط في الخطيئة، وهما لم يختبرا شراً، لذلك لم يخجلا من عريهما. إن خطة الله الرائعة من نحو الإنسان، تجلت بأربعة أمور:

الأول، أن يؤسس الإنسان العائلة ويحافظ عليها، والعائلة بنظر الله مؤلفة من رجل وامرأة، وأبناء.

الثاني، أن يعيش الإنسان في طاعة الله، وشركة كاملة معه، متمتعاً بالسلام.

الثالث، أن يكون الإنسان خالداً وسعيداً.

الرابع، أن يسود الإنسان ويتسلط على الأرض بكل ما فيها.



الفصل الثاني

السقوط، وبداية التحدي

١ وَكَانَتْ الْحَيَّةُ^١ أُحْيِلَ^٢ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمَلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»^٣ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ^٤ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا». ٤ فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! ٥ بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». ٦ فَفَرَّاتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. ٧ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أُورَاقَ تَيْنِ وَصَبَعَا لِأَنْفُسِهِمَا مَازَرَ. ٨ وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًّا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ (عند انخفاض الحر) فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩ فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». ١٠ فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لِأَنَّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». ١١ فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» ١٢ فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْني فَأَكَلْتُ». ١٤ فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِلْحَيَّةِ: «لَأَنَّكَ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٥ وَأَضْعُ عِدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ».

١ - إنا الشيطان ذاته (رؤيا ١٢ : ٩).

٢ - الكلمة في الأصل العبري (aruwm)، وتعني: الماكرة (عادة بمعنى سيء)

Mickelson's Enhanced Strong's Greek and Hebrew Dictionaries (H6175)

ولأن الكلام عن الشيطان فاعتقد أن هذه صفته بعد سقوطه، وليس قبل سقوطه لأن من الخيال أن يخلق الإله الصالح كائناً شديراً .

١٦ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثُرَ أَتَعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْنِكَ.» ١٧ وَقَالَ لِآدَمَ: «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٨ وَشَوْكًَا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. ١٩ بَعْرَقِي وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ.» ٢٠ وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَاءَ» لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. ٢١ وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَاللَّبَسَهُمَا. ٢٢ وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ.» ٢٣ فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. ٢٤ فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرْوَبِيمِ وَلَهَيْبِ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ» (تكوين ٣)

لأنعرف كم من الوقت أمضى آدم في جنة عدن مع زوجته حواء قبل أن يأتيهم الشيطان في زيارة سببت لهما ولنسلهما التعب والشقاء! ولكن الظاهر من النص أنهما أمضيا وقتاً لا بأس به في الجنة، لدرجة أن حواء لم تُظهر أدنى دهشة أو تعجب من مخاطبة الحيّة لها، لأنها اعتادت على ذلك، وألِفَتْ طبائع الحيوانات بالمعرفة التي زودها الله بها.

كان لقاء الحية بحواء مثيراً جداً. وقد توقع البعض أنه تم في مكان بعيد عن الشجرة المحرّمة، حيث هناك أطالت حواء التفكير بكلام الحية، وقررت أخيراً الذهاب إلى وسط الجنة. لكنني أستبعد مثل هذا الأمر، لأنها مع زوجها كانا سيتغلبان على حيلة الشيطان بدعوته لهما للأكل من الشجرة المحرمة، والشيطان أدكى من أن يُضَيِّعَ فرصته في المكان الخطأ، فيعطي حواء وآدم مجتمعين فرصة للتفكير العميق بأقواله، وبالتالي احتمالية رفضها.

١- لم يُسمح لآدم أن يأكل من شجرة الحياة، لأن الحياة لا تتفق مع حالة الخطية التي كان عليها آدم.

ولأنَّ هذه الفرصة على ما يبدو غير قابلة للتكرار، اقتنصها كصيادٍ ماهرٍ في الوقت والمكان المناسبين. فجاء إلى حواء وهي أمام الشجرة المحرَّمة، بعيدة عن زوجها، ليرفع من احتمالية إقناعها بدون رجلها. فهي على ما يبدو كانت تتردد إلى تلك الشجرة بين الحين والآخر مُطيلةً النظر إليها!

ابتدأ حديثه معها بالسؤال: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟». يا لها من خديعة! إنه يقول كلاماً لم يقله الله. يقول ما معناه: أتعجب كل العجب أن يقول الله هذا الكلام، أنا لا أصدق ذلك! كنت أظنه حكيماً، فإذا هو غير منطقي في متطلباته، أيتها السيدة الفاضلة لو فكرت في رفض طلبات الله فأنت معذورة تماماً!

تنبّهت حواء جزئياً للكلام، فحاولت تصحيحه قائلة: «مَنْ ثَمَرَ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ ۖ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِيَلَّا تَمُوتَا». وكأني بها تقول: أيتها الحية، الله ليس كما تظنينه!

أما الشيطان، فكشخصٍ ماكرٍ يريد أن يؤكد فكرته بأن الله غير حكيم، وأن لها الحق برفض متطلباته، لم يهتم بماذا قال الله، لكن بقرار الله، (تموتاً). فقال لها: «لَنْ تَمُوتَا!» بمعنى: إن الله غير منطقي في كلامه! هل رأيت يا حواء أحداً يموت^١ في الجنة؟ هيا يا حواء، العقاب ليس أكيداً، إن الله غير منطقي في ما يقول، وبالتالي لديك الحق في رفض كلامه.

يا حواء، اسمعي ما أقوله لك: «اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفُتِحُ أَعْيُنَكُمْمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». إن الله يريد أن تبقى هكذا في قلة المعرفة ليبقى مسيطراً عليكما. إنه لا يريد للإنسان أن يصير مثله في المعرفة.

١- كان آدم وحواء يعرفان الموت لأن الله أخبرهما عنه، لكنهما لم يعانياه. لأن الموت أمر لم يحدث لأي من الكائنات التي أمامها إلا بعد دخول الخطيئة. لاحظ قول الكتاب: «وقال الله إني قد أعطيتكم كلَّ بقل يُبْزَرُ بزرّاً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يُبْزَرُ بزرّاً لكم يكون طعاماً ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حيّة أعطيت كل عشب أخضر طعاماً وكان كذلك» (تكوين ١: ٢٩-٣٠). إن نوعية الطعام تؤكد أن الحيوانات قبل سقوط الإنسان في الخطيئة لم تكن تفترس بعضها البعض، وبالتالي لم يدخل الموت إليها. مما يعني أن آدم لم يأ أي جثة حيوان قبل سقوطه في الخطيئة، وكذلك حواء.

إنه غير منطقي في أحكامه. ما الضير لو أكلتما وصرتما مثل الله؟ كان ينبغي أن يفرح ويسر بذلك بدل أن يمنعكما. هيا هيا، إن ما ينقصكما في هذه الحياة هو المعرفة فقط. لا تُضَيِّعِي الفرصة، لا أحد يراك، اقظي وكلي، وستختبرين مجالاً جديداً من المعرفة يجعلك مثل الله! يا ليتني أستطيع أن أفعل ذلك فأصير مثل الله في المعرفة، لكن لا سبيل إلى ذلك لأن الله غير المنطقي، صنع هذه الشجرة للإنسان فقط. إنها فرصتك، وليست فرصتي، فتمتعي بها أنت ورجلك. هيا إن الشجرة شهية للنظر وثمرها جيد للأكل، وحرمان الله لكما أمرٌ تعسفيٌّ، وغير مفهوم.

وأخيراً نجحت مكيدة الشيطان، وها هي حواء تُطيل النظر إلى الشجرة، وهي تُفكر بمساحة واسعة من المعرفة التي ستكتسبها، متناسية أن الله كلمها عن معرفة مختصة بالشر، وليس معرفة مختصة بحكمة، أو علم، «فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضاً مَعَهَا فَأَكَلَ».

يا لها من حماقة عندما يفكر الإنسان أن يصير مثل الله! مستنداً بذلك على كلام الشيطان.

صحيح أن الإنسان انفتحت عيناه، وصار عارفاً للخير والشر مثل الله، لكن هناك فرق في هذه المعرفة، هذا الفرق نستطيع أن نُشبهه بمعرفة المريض للمرض بالاختبار، ومعرفة الطبيب للمرض بالعلم. فالله يعلم نتائج الشر لأنه كلي العلم، أما الإنسان فيعلم نتائج الشر عندما يختبر الشر. وهذا ما حدث لآدم وحواء، اللذان اختبرا الآن الشر، فصارا يعرفان الخير والشر معاً. وهذا ما جعلهما من الآن فصاعداً مرفوضين كتلك الشجرة التي تنتج رمزياً الخير مع الشر.

أدم وحواء كليهما لم يمتلكا علم الله، ولن يمتلكا! لقد خدعهما الشيطان، إذ أوهمهما متلاعباً بالكلام أنهما سيعرفان كل العلم وأسرار الكون، لكن الحقيقة أنهما اختبرا وعرفا أسوأ الأمور، الخطية. أما من جهة المعرفة فسيبقى الإنسان المحدود، محدوداً في معرفته، ولن يأتي وقت أبداً يصير فيه الإنسان

كَلِّي العلم مثل الله. لكن الأيام ستثبت أن الإنسان بحماقة سيحاول تخطي حدوده لتفتح عيناه، ظاناً أنه بعلمه سيصير مثل الله. فكلام الشيطان الماكر قد حُفر في نسل آدم إلى يومنا هذا.

أما عن أهم نتائج هذا السقوط التي ظهرت مباشرة:

١- شعور آدم وحواء لأول مرة بالذنب والخجل.

٢- شعور آدم وحواء لأول مرة بالخوف من الله.

٣- فقدان الشركة مع الله والسلام الناتج عنها.

٤- الموت للجنس البشري، وبالتالي خسارة الخلود.

٥- خسارة السلطان والسيادة على الأرض.

٦- سيادة الرجل على المرأة «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك»، فقرار الله واضح، أن السيادة للرجل. ولكن المرأة بسبب السقوط من ذلك الوقت وإلى الآن، تشتاق أن تسود على الرجل مُبدلة ترتيب الله.

٧- التعب والألم: «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوگًا وحسگًا تُنبت لك».

وأخيراً تم طردهما من محضر الله، ليقاسيا نتائج تمردهما عليه. ولكن رغم ذلك وَعَدَهُمَا اللهُ بالخلاص، مقدماً لهما الرجاء الذي سيتحقق عندما يأتي نسل المرأة -المسيح- ليسحق رأس الحيّة، ويرد الإنسان إلى الشركة معه ثانية. ولكن هل سيقبل الإنسان بقرارات الله، أم أنه سيعتبر الله تعسفياً وغير منطقي، فيقرر الرد عليه بالتحدي.

١- من المهم أن نذكر أن هذا الترتيب الوظيفي لم يكن قبل السقوط، حيث نجد آدم ينظر إلى امرأته ويقول: «هذه الآن عَظْمٌ مِنْ عَظَائِي وَحَظٌّ مِنْ حَظِّي. هَذِهِ تَدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرَأَةٍ أُخِذَتْ» (تكوين ٢: ٢٣)، دون أن يعطيها أي اسم إشارة للمساواة بينه وبينها. ولكن بعد السقوط نجد آدم يعطي لامرأته اسماً دلالة السيادة عليها (تكوين ٣: ٢٠)، كما فعل قبل السقوط مع الحيوانات عندما دَعَا « بِأَسْمَاءٍ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ» (تكوين ٢: ٢٠).

الفصل الثالث

التحدّي الأول، والطوفان^١

بعد السقوط في الخطية طَرَدَ اللهُ آدمَ وحواءَ من الجنّة، وأغلق عليهما طريق العودة. ومن ذلك الحين ابتداءً آدم مع زوجته يعملان في الأرض الملعونة، يفلحانها ويزرعانها ويربيان الماشية فيها. إنهما يعيشان ويعملان الآن في ظروف مختلفة، فالأرض لم تعد كما كانت، إنها بدون تعبهما تنتج شوكا وحسكاً. وكذلك أجسادهما التي كانت تتمتع بالقوة، صارت تعاني التعب والإرهاق. وأما علاقتهما مع الله التي كانت سر سعادتهما، فقد صارت في الحضيض. وَعَرَفَ آدَمُ حَوَاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبَلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. ثُمَّ عَادَتْ قَوْلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ وَكَانَ قَايِينُ عَامِلًا فِي الْأَرْضِ.

ومرّت الأيام، وكبر الأولاد. ومن المؤكد أن آدم عندما طُرد من جنة عدن أخبره الله، إنه سيبقى مهتماً به، وأنه إن قَدَّرَ عطاياهُ له، عليه أن يشكره بتقديم قربان شكر له. وفي وقت ما، اتفق أولاد آدم، قايين وهابيل على تقديم قربان شكر لله. فقدم قايين قربانه من ثمر الأرض دون إيمان، معبراً عن ذلك بنوعية التقدمة، إذ اختار كل ما طالته يده من ثمار جيّدة وغير

^١ - يدعي البعض أن الطوفان كان طوفاناً محلياً - محصوراً في منطقة بعينها - ولكن هذا الأمر غير صحيح كتابياً، على الأقل للأسباب التالية:

أولاً- الكتاب المقدس يذكر بوضوح أن جميع الناس خارج الفلك قد هلكوا بالطوفان (متى ٢٤: ٣٧- ٣٩ ، لوقا ١٧: ٢٦- ٢٧ + ١ بطرس ٣: ٢٠ + ٢ بطرس ٢: ٥) .

ثانياً- يجزئنا الكتاب المقدس أن المياه «١٩ وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. ٢٠ خمس عشرة ذراعاً (نحو سبعة أمتار) في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال» (تكوين ٧) . ومن المستحيل علمياً أن تغمر المياه جبالاً شامخة في منطقة ما، وترتفع فوقها نحو سبعة أمتار، دون أن تغطي بقية الجبال في كل العالم.

ثالثاً- لو كان الطوفان محلياً ما كانت هناك حاجة أبداً لبناء الفلك. بل كان يكفي أن ينتقل نوحاً وعائلته والحيوانات التي دخلت معه الفلك إلى منطقة أخرى لا يصل إليها الطوفان لينجو الجميع. ولكن بما أن الله أمره ببناء الفلك ليكون ملاذاً له ولعائلته ولكل ممثلي الحيوانات البرية في العالم، فهذا دليل واضح على أن الطوفان كان عاماً وشاملاً لكل العالم، إذ لا يمكن الزعم بأن طوفاناً محلياً، كان يمكن أن يقضي على كل الحيوانات البرية.

جيدة. أمّا هابيل فقدم قربانه بإيمان، معبراً عن ذلك بنوعيّة التقدمة، إذ اختار بتدقيق خيرة أبقار غنمه وأسمنها. فتقبّل الرّب قربان هابيل ورضي عنه. لكنه لم يتقبل قربان قايين ولم يرض عنه. فاغتاظ قايين جداً، ظاناً أن رفض الرب لتقدمته مرتبط بأخيه هابيل. وبسبب كبريائه لم يمتحن نفسه ليعلّم ذنبه، وإذ أراد أن يبرر نفسه، اتهم أخيه. فعمل مثل أبيه الذي برر نفسه باتهام زوجته حواء، ومثل حواء أمه التي بررت نفسها باتهام الحيّة.

أمّا الرّب فتعامل مع قايين برحمةٍ، معطياً إياه فرصةً ليفحص نفسه، ويكتشف العيب الموجود فيه، وليس بأخيه كي يعود ثانية، ويقدم بإيمان تقدمة شكر جيدة من خيرة ثمر الأرض، ليرضى عنه. وحذره بأن إصراره على رأيه أن المشكلة في أخيه، سيقوده إلى مصيبة كبرى. لكن قايين رفض بعناد كلام الرّب معتبراً أخاه سبب مشكلته. وخرج من محضر الله دون أن يتصالح معه. ثم تظاهر بالمودّة لأخيه هابيل. وحدث إذ كانا معاً في الحقل أن قايين هجم على أخيه هابيل وقتله، لتكون هذه أول جريمة يرتكبها إنسان على وجه الأرض، بطلها، قايين الشرير. جريمة حدثت بعد صلاة شكرٍ للرب! فأفسدت معنى العبادة.

وإلى الآن ما زالت تتكرر نفس المشكلة، إذ يقوم الأخ الفاسد المتدين على أخيه في أحيانٍ كثيرةٍ ليقتله بعد الصلاة. فصارت العبادة أساس الشر والجريمة عند الكثيرين، بدل أن تكون أساس الخير وكل صلاح. وصار الله المعبود مشكلة الإنسان الخاطيء بدل أن يكون سلامه. فأية عبادة هذه؟ إنها عبادة قايين الشرير.

وترأى الرّب لقايين وسأله: ««أَيْنَ هَابِيلُ أَحُوكَ؟» فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسُ أَنَا لِأَخِي؟» فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِحٌ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ!.. تَأْتِيهَا وَهَارِباً تَكُونُ فِي الْأَرْضِ.» ومنذ تلك اللحظة صار الهروب من الله سلوكاً يميز الأشرار عن الصديقين.

وَعَرَفَ قَايِيْنُ امْرَأَتَهُ الَّتِي هِيَ إِحْدَى أَخْوَاتِهِ. فَحَبَلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ. وَبَنَى مَدِينَةً لِيَخْتَبِيَ فِيهَا مِنَ اللَّهِ، دَعَاهَا بِاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ. وَوَلِدَ لِحَنُوكَ أَوْلَادٌ وَأَحْفَادٌ. وَمِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ لَامَكَ. الَّذِي اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ، فَكَانَ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَنْ كَسَرَ قَانُونَ اللَّهِ فِي الزَّوْجِ!

وهكذا بزمن قصير تمرد الإنسان على الله فتحول من حارس لأخيه إلى قاتل له. وحوّل مفهوم العبادة، من علاقة مع الله تعطي سلاماً، إلى علاقة مع الله تنتج موتاً. وكسر مفهوم الزواج -المكون من رجل واحد وامرأة واحدة- مستبدلاً إياه برجل واحد، وامرأتين. وكل هذا لأنه أراد أن تفتح عينيه ليصير مثل الله عارفاً للخير والشر.

وتكاثر جداً نسل قايين الشرير، وبدأ شيئاً فشيئاً يخترع لنفسه ما يعوضه عن بهجة العلاقة مع الله، العُودَ وَالْمِرْمَارَ. وَكُلَّ آلَةٍ مِنْ نَحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وما زال إلى الآن بنفس الأدوات يحاول أن يبهج نفسه بعيداً عن الله، مع أنه لو أراد، بإمكانه أن يستخدمها للفرح في علاقته مع الله.

أما آدم الذي كان عمره مئة وثلاثين سنةً، فعرف امرأته ثانية، فولدت له ابناً، ودعا اسمه شيئاً، ليكون نسلًا آخر بدل هابيل الصديق الذي قتله أخوه قايين الشرير. وعاش آدم بعد مولد شيث ثماني مئة سنة، ومات وله من العمر تسع مئة وثلاثون سنة تحقيقاً لوعده الرب الذي قال له: «وَأَمَّا سَجْرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». وإلى الآن مازال الموت يحصد النفوس بدون استثناء، ليس لأن آدم قد أخطأ، وبه دخلت الخطية والموت إلى العالم، بل لأن الجميع أيضاً قد أخطأوا.

ولِشَيْثٍ أَيْضاً وَوَلِدَ ابْنٌ عِنْدَمَا كَانَ عَمْرُهُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنَوَاتٍ، فَدَعَا اسْمَهُ نُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ النَّاسُ يَدْعُونَ بِاسْمِ الرَّبِّ. وَبِذَلِكَ انْقَسَمُوا لِمَتْنَيْنِ: وَاحِدَةً تَعْبُدُ الرَّبَّ، وَالثَّانِيَةَ مَتَمَرِدَةً عَلَى الرَّبِّ.

ومن بين كل سكان الأرض وُجد شخص واحد فقط، أخنوخ، السابع من آدم،

من نسل شيث، الذي سار مع الله بأمانة. وإذ بلغ من العمر ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، توارى من الوجود، لأن الله نقله إليه لكي لا يرى الموت. عندها أدرك الناس أن العلاقة الصحيحة مع الله هي الحل لمشكلة الموت، لأنها تقودهم إلى الخلود.

ومن نسل أخنوخ جاء نُوحٌ، رَجُلًا بَارًا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ، سَارَ أَيْضًا بِالْأَمَانَةِ مَعَ اللَّهِ. وَوُلِدَ لَهُ: سَامَ وَحَامَ وَيَافَثَ.

ولما بدأ الناس الأشرار -نسل قايين الشرير- يكثرُونَ على وجه الأرض ووُلِدَ لهم بنات، رأى الذين يعبدون الرب أن بنات الناس الأشرار حسان، فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم.

كان هذا تصرفاً رديئاً جداً، لأنه جعل الأبرار باتحادهم مع الأشرار، كشجرة معرفة الخير والشر المرفوضة من الله. فحكم الله بأن يصير عمر الإنسان لزيغانه مئةً وعشرين سنةً.

وَإِذْ رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلُّ يَوْمٍ قَالَ رَدًّا عَلَى تَحْدِي الْإِنْسَانِ لَهُ: أَمْحُو الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، هُوَ وَالْبَهَائِمُ وَالِدَوَابُّ وَطَيُورُ السَّمَاءِ. وَأَمَّا نُوحٌ فَمِنْ بَيْنِ الْجَمِيعِ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ. فَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: نِهَائِيَةٌ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي لِأَنَّ الْأَرْضَ ائْتَلَأَتْ طُلْمًا مِنْهُمْ. فَهِيَ أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الْأَرْضِ. فَاصْنَعْ لَكَ فُلْكَاً مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ (سرو)، واجعلها عُرفاً، واطلها من داخل ومن خارج بالقار. وليكن طولها نحو مئة وخمسة وثلاثين متراً، وعرضها نحو اثنين وعشرين متراً ونصف المتر، وارتفاعها نحو ثلاثة عشر متراً ونصف المتر.

١- لم يكن الفلُّك سفينة بالمعنى المعروف، فلم تكن له جوانب مائلة، ولا سارية، ولا قلع، بل كان أشبه ببرج ضخم يطفو فوق سطح الماء، ويقاوم صدمات الأمواج. وبهذا الشكل كانت سعته تعادل مرة وثلاث سعة سفينة بنفس الطول والعرض، كما لم يكن معرضاً للانقلاب. وكانت طوابقه الثلاثة مقسمة إلى حجرات. وكانت هناك كوى أسفل السقف مباشرة حول كل الفلك للتهوية والإضاءة. وكان له باب في إحدى جهاته (تك ٦ : ١٤ - ١٦) ... وحيث أنه كان من ثلاثة طوابق، فكانت مساحة طوابقه نحو (٩٥) ألف قدم مربع. وكان حجمه الكلي نحو (١٠٣٩٦،٠٠٠) قدم مكعب، أي أنه كان يتسع لحمولة (١٣،٩٠٠) طن، أي حمولة سفينة معدنية من عابرات المحيط الآن. دائرة المعارف الكتابية، كلمة فُلُّك.

وها أنا آتٍ بطوفان مياه على الأرض لأزِيل كلَّ جسد فيه نسمة حياة تحت السماء، كل ما في الأرض يَهلك. ولكني أقِيم عهدي معك، فتَدْخُل السفينة أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك. واثنان من كل نوع من الخلائق الحيّة لتنجو بحياتها معك. ذكرا وأنثى تكون. وخذ من كل طعام يؤكل، واجمعه عندك، ليكون لك ولهم غذاء. فعمل نوح بكل ما أوصاه به الله.

وبعد مائة وعشرين سنة من كلام الرب لنوح -الذي استخدمه الله كارزا للبر، ومنذراً للناس بالطوفان- بينما الناس يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، قال الله لنوح: ادخل السفينة مع جميع أهل بيتك، لأني رأيت أنك وحدك صالح في هذا الجيل.

وبعد أن دَخَلَ نُوحُ الْفُلْكَ (السفينة)، مع بنيه وامراته ونساء بنيه، بسبعة أيام، جاء طوفان على الأرض، واستمر المطر ينزل لمدة أربعين يوماً وليلة، حتى غَطَى كلَّ الجبال، وظَلَّت المياه طامية على الأرض مدة مئة وخمسين يوماً. فأغرق الطوفان كل من كان على الأرض، كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابَسَةِ مَاتَ، سواء من الناس، أم البهائم، أم الزواحف، أم الطيور، كلها أُبِيدت من الأرض، ولم يبق سوى نوح ومن معه في الْفُلْكَ.

كانت هذه الدينونة بالحق، أعظم ضربة أنزلها الله القدوس بهذا العالم الشرير الذي تحداه بكسر وصاياهِ الواحدة تلو الأخرى. فالناس الذين «لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ» (رومية ١: ٢٨)، منذ إنذار الله لهم أيام أبيهم آدم، أي منذ حوالي (١٦٥٦) عاماً، كان لا بد أن ينالوا جزاء عصيانهم وتحديهم لله، طوفاناً مدمراً، لا يبقِي من الخليقة إلا قلة تحفظ بقاءها، وتخبر الجيل القادم أن دينونة الخطية حتمية.

^١ - أي من كل جنس اثنان. فمثلاً، جميع أنواع الكلاب والذئاب، والقبوطات، وابن آوى، والدنغ الأسترالي، والكثير من الأنواع المنقرضة، تنتمي إلى جنس الكلاب، وكل هذه الأنواع تنحدر من الذئب الرمادي الذي دخل منه زوج إلى الْفُلْكَ.

ثم افتقد الله نوحاً وما معه في الفلك من وحوش وبهائم، فأرسل ريحاً على الأرض، فتقلصت المياه وتراجعت عن الأرض شيئاً فشيئاً حتى نقصت بعد مئة وخمسين يوماً. واستقر الفلك على جبال (أرازاط) وأخذت المياه تتناقص إلى أن جفت الأرض. فرفع نوح سقف الفلك وتطلع حوله، فرأى أن سطح الأرض قد أخذ في الجفاف. فأمره الرب بالخروج من الفلك هو وكل من معه، فكانت كل المدة التي استغرقها الطوفان، والتي مكثها نوح وعائلته في الفلك ٣٧١ يوماً. وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة. فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات. ومن أبناء نوح الثلاثة، ساماً وحاماً ويافث، انتشر كل سكان الأرض.



الفصل الرابع

التحدّي الثاني، وبلبلّة الألسنة

قبل الطوفان كان شر الإنسان قد كثر في الأرض، ورأى الربّ أنّ كل نَصُور أفكار قلب الإنسان إنما هو شرير كل يوم، لذلك تدخل الله لتجديد العالم بمياه الطوفان. وإذ أביدَ الناس الأشرار، ولم يبق سوى نوح وأهل بيته، توقعنا أن يكون نسل نوح مختلفاً عمّا قبله، مُستجيباً لمشيئة الله، عاملاً الصلاح، مهتماً بأن يقيم بيتاً، أو مذبحاً للرب، ليؤكد أنه خليفة الله التي لا تستغني عنه.

من نسل حام ابن نوح، وُلد كوش، ومن كوش وُلد نمرود الذي كان صياداً جباراً، وملكاً قديراً، ومؤسساً لأول مملكة في تاريخ البشرية. وما وجود الكثير من البلدان فيما بين النهرين، التي تحمل اسم نمرود، إلا دليلاً على مدى شهرته في التاريخ القديم.

تكونت مملكته^١ أول الأمر من بابل^٢، وأرّك^٣، وأكّد، وكنّة، في أرض شنعار. ثم خرج من تلك الأرض إلى أشور وبني نينوى، ورحوبوت عير، وكالغ، ورسن الواقعة بين نينوى وكالغ^٤.

فيما بعد صار اسم نمرود عند بني إسرائيل رمزاً للتمرد ضد الله، والكتاب المقدس يؤكد هذه الحقيقة بالقول عنه: «كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ» (تكوين ١٠ : ٩). أي كان شخصاً متمرداً معترّاً بذاته.

وقد ربط بعضهم بين نمرود، وشخصية (جلجامش) الأكادي، أو البابلي الأسطورية، الذي كان يُعتبر نصف إله، وملكاً على (يوروك) التي هي (أرّك).

١- (تكوين ١٠ : ٨-١٢) + (مخا ٥ : ٦).

٢- ترتبط بابل في الكتاب المقدس باستمرار، سواء رمزياً أو نبوياً، بالنظام الفاسد دينياً وأدبياً (إشعيا ٢١ : ٩)، (إرميا ٥٠ : ٢٤)، (رؤيا ١٤ : ٨، ١٧ : ٥، ١٨ : ٢ و ٣).

٣- (تكوين ١٠ : ١٠-١٢).

وبعضهم الآخر ربط بين نمروود، وشخصية (مردوخ) كبير الآلهة البابلية. ولكن لا مبرر أبداً لهذا الربط.

كانت الأرض زمن نمروود لساناً واحداً، ولغةً واحدةً، وكان القصد الإلهي أنّ الجنس البشري لا يتمركز في بقعة بذاتها، بل يملأ الأرض كلّها. وقد أعلن ذلك القصد يوم خلق آدم أبو الجنس البشري (تكوين ١: ٢٨)، وتكرر لنوح وبنيه من بعده، إذ قيل: «وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ائْمِرُوا وَآكُثِّرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ» (تكوين ٩: ١). لكنّ نمروود ومن معه أسسوا مملكة عظيمة، حاولوا أن يتمركزوا فيها، مخالفين بذلك قصد الله.

في سهل شنعار قال النَّاسُ لبعضهم لبعض: «هَلَمْ نَصْنَعْ لِبْنًا (طوباً) وَنَشْوِيهِ شَيْئاً». فاستبدلوا الحجارة بالطوب، ليكون هذا أول اختراع بعد الطوفان. ثم قالوا: «هَلَمْ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً، وَبُرْجًا رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لِأَنْفُسِنَا اسْمًا لِيَلَّا نَنْتَبَدَّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ» (تكوين ١١: ٤). فعملوا شرين:

الأول- بنوا برجاً رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ.

قيل عن الكنعانيين أن لهم «مُدُنٌ عَظِيمَةٌ مَحْصَنَةٌ إِلَى السَّمَاءِ» (تثنية ١: ٢٨). وهذا تعبير مجازي يراد به، مُدن عظيمة محصنة لا تستطيع حتى السماء اقتحامها. وما بناه نمروود وشعبه المختالين بأنفسهم قيل عنه: «بُرْجًا رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ»، هو أيضاً تعبيرٌ مجازي يُراد به برجاً شاهقاً يَطال السَّمَاءَ. برجاً يكون شاهداً لعظمتهم، ومخلداً لهم. فليس الله وحده من يسكن الأعالي، لكن نمروود ومن معه أيضاً. فكان هذا بالنسبة لهم قِمة الإنجاز، لأنه يحافظ على هُويتهم كمتمردين على الله.

لم يكن الشر في أنهم أرادوا أن يقيموا برجاً شاهقاً، لكن في قلوبهم التي كانت تتحدى الله. فمشروع نمروود ومن معه يستهدف في الدرجة الأولى والأخيرة «أنفسنا»، على حد قولهم: «نبن لأنفسنا.. نصنع لأنفسنا». لقد أرادوا أن يكون لهم اسمٌ -مجدٌ- الأمر الذي يخص الله وحده، ففشلوا.

ربما قال نمرود في نفسه متوهماً: إذا ما حلّ الطوفان على الأرض مرة أخرى، أجد لنفسي ولشعبي ملجأً من تأديب الله القاسي في برجٍ رَأَسُهُ بِالسَّمَاءِ! فأنا لا أثق في ميثاق الله مع أبينا نوح^١. فَحَسَبُوا اللَّهَ غَيْرَ أَمِينٍ فِي مَوَاعِيدِهِ.

يا للحماقة! برجٌ يوحى من بعيد بَرَبُطِ السَّمَاءِ بِالأَرْضِ، لكن من قريب، كل ما فعله هذا البرج أنه رفع خطايا نمرود وشعبه للسما، «لَأَنَّ خَطَايَاهَا (بابل) لَحِقَتِ السَّمَاءَ، وَتَذَكَّرَ اللَّهُ آثَامَهَا» (رؤيا ١٨: ٥).

ألا يعرف هؤلاء الأشرار المختالين بأنفسهم، المتجاسرين، إن الطريق الآمن الحقيقي للسما يُشَيَّدُ بالاتضاع الذي يرفع القلب لله، وليس ببناء برج مرتفع ضد الله.

هل يا ترى خطر ببال نمرود أن هذا البرج سيكون أيضاً نقطة تَجْمُعُ تعمل على وحدتهم، الغاية منها أن يصنعوا لأنفسهم اسماً -مجداً- يخصُّ الله وحده. وإذ رأى الله عملهم، لم يشددهم، بل فرّقههم. وهذه نهاية كل تَجْمُعٍ بشري بدون الله، غايته أن نضع لأنفسنا اسماً.

هل تغير الإنسان في تحديه لله؟ أبداً. حتى وقتنا الحاضر مازال يسعى كنمرود لإقامة اتحادات، أو جمعيات سياسية، أو دينية، أو أدبية، أو اقتصادية، غايتها أن يصنع لنفسه منها مجداً. وكما فشل سابقاً سيفشل لاحقاً. لأن الله هو القائل: «أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لَا أَعْطِيهِ لِآخَرَ» (إشعيا ٤٢: ٨).

الثاني- بنوا مدينة ليتجمّعوا ويحتموا فيها من وصايا الله، ومن آية علاقة إيجابية يمكن أن تربطهم به بسبب خوفهم منه، حسب قولهم: « لِئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ».

يا لهم من أشرار! بدل أن يببوا مذبحاً يربطهم بالرب، بنوا لأنفسهم مدينةً حصينةً تفصلهم عن الرب. فصارت مدينة بابل نموذجاً لروح العالم في

١ - «وَمَا أَنَا مُبْتَاعٌ مِثْقَالِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ... فَلَا يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضاً بِمِثْقَالِي الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضاً طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ» (تكوين ٩: ٩-١١).

كل العصور. الروح الذي يرى في الله أنه يكتم أنفاس الإنسان، ويحرمه من حرّيته، ويدفعه للهروب من الله، والاختباء في حصون الإلحاد، حيث يكون الإنسان إله ذاته.

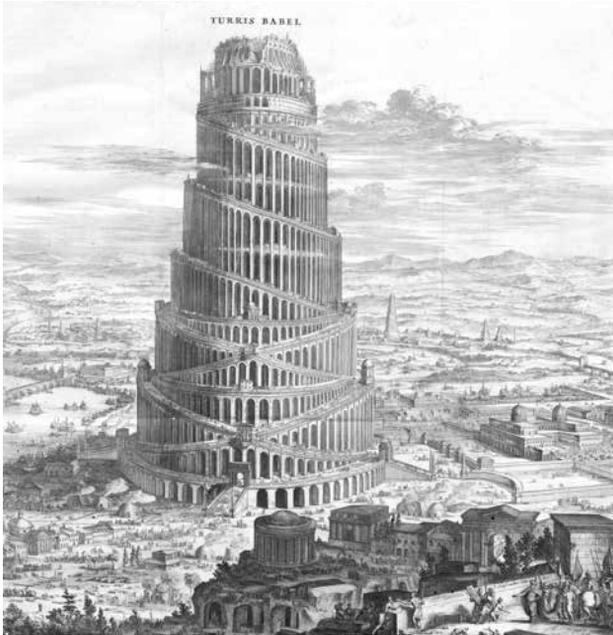
هذا هو الإنسان، ليس الله في كل أفكاره. فيها هو نمروود ومن معه، الخائفون من الله، يتحدّون الله بتجاوز مشيئته. فتكتلوا معاً لبناء جمهورية عالمية دون الله، يحتمون بها من الله. أيّ تناقض هذا؟

هل هم حقاً أقوياء، ليتمردوا على الله؟ لم يكونوا كذلك، ولن يكونوا. إذ في تجمعهم للحفاظ على هويتهم، والسيطرة على مصيرهم، ظهروا بشكل واضح تماماً، إنهم جماعة من الضعفاء الذين يشعرون بالخوف وعدم الأمان. لقد تجمعوا في سهل شنعار ليينوا لأنفسهم مدينةً كما يفعل الضعفاء حينما يحتمون واحدهم بالآخر. لكن الله تدخّل، وأوقف مشروعهم بأن بلبل ألسنتهم ليرغمهم على التفرق « ٨ فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ فَكَفُّوا عَنْ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ ٩ لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لِأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلَّبَلَ لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ » (تكوين ١١).

كان خوفهم واضح في قولهم: «لئلا نتبدد على وجه كل الأرض»، وكذلك كانت غايتهم «لئلا نتبدد على وجه كل الأرض». لكن الله شاء، أنه «في الشّيء الَّذِي بَغُوا (استبدوا) بِهِ كَانَ عَلَيْهِمْ» (خروج ١٨: ١١). فمن هناك بددهم الله، وفرّقهم على وجه كل الأرض، فتاهت غايتهم. أمّا مخاوفهم فقد تحققت على نطاق أوسع مما تخيلوه، لأن ذاك الذي تجاهلوه بإرادتهم، فرّقهم وبددهم رغماً عن إرادتهم.

مع انهم كبنائين استخدموا مواداً بديلةً من اختراعهم، لكنهم بقوا ضُعفاء، يعيشون في ضلال جماعي. لذلك قرر الله، إن الانقسام من خلال بلبله الألسنة، افضل من الضلال الجماعي بلسان واحد، فتمم قصده بتبيدهم في كل الأرض، لإعمارها.

إلى ما قبل الطوفان، وما بعده بقليل، كان للإنسان لسان واحد، وكلمات واحدة. أما الآن فبعد تحديّ الإنسان لله، أعقبت ذاك اللسان الواحد، العديد من الألسنة التي ميّزت الأرض منذ ذلك الحين فصاعداً. إن بابل التاريخية الحرفية، كانت ومازالت، رمزاً لتمجيد الذات، والتمرد على الله. لذلك قرر الله أن يجعلها «مَسْكناً لِشَيَاطِينٍ، وَمَحْرَساً (ومأوى) لِكُلِّ رُوحٍ نَجِسٍ» (رؤيا ١٨ : ٢).



الفصل الخامس

التحدي الثالث، ونار من السماء.

من نسل حام ابن نوح، جاء نمرود الذي أسس مدينة بابل، وعمل مع شعبه على بناء بُرج فيها، رأسه في السماء. فأظهروا أن كل اهتمامهم أرضي، وكل اشتياقهم أن يكون لهم اسماً، «لِيَلَّا يَتَّبَدُّوا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ». لم يجعلوا الله في فكرهم، بل حاربوه برفع خطاياهم إليه. فبلبل ألسنتهم، وبددهم على وجه كل الأرض.

أما من نسل سام، أخي حام، فقد جاء تارح، الذي وُلِدَ في أور الكلدانيين، إبراهيم^١، وناحور، وهاران. وَوُلِدَ هاران لوطاً. وتزوج إبراهيم من سارة. وهي أخته، ابنة أبيه، غير أنها ليست ابنة أمه. وهي أصغر منه بعشر سنوات، وكانت عاقراً ليس لها ولد.

في أور الكلدانيين - ما بين النهرين - حيث وُلِدَ إبراهيم كانت تُعبد الآلهة الغربية (يشوع ٢٤: ٢). ومن وسط هذا الجو الفاسد دينياً حيث الناس لا تعرف الله، دعا الله إبراهيم ليترك أرضه وعشيرته قائلاً: «اُخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَهَلَمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ ٤ فَخَرَجَ حِينِيذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ (نحو ١٥ عاماً)» (أعمال ٧). إلى أن مات أبوه، فجاء الله به إلى أرض كنعان، ولم يعطه فيها مُلكاً، ولا موطئ قدم. ومع أنه كان وقتئذ بلا ولد، فإن الله وعده بأن يعطي هذه الأرض له ولنسله من بعده. وإذ أطاع إبراهيم الله، نشأت علاقة وثيقة بينة وبين الله فدعي «خليل الله» (يعقوب ٢: ٢٣)، وصار رأساً للأمة العبرانية.

خرج إبراهيم مع لوط ابن أخيه من حاران، وكان عمر إبراهيم «٧٥» سنة، وعمر زوجته ساراي ٦٥ سنة. ويبدو أنه اتخذ طريقه إلى كنعان عَبْرَ

١ - وُلِدَ إبراهيم نحو عام (٢١٦٦ ق. م)

دمشق، حيث أخذ منها عبده، كبير بيته، اليعازر الدمشقي. وحدث بعد سنوات أن إبراهيم افترق عن لوط ابن أخيه بسبب مشاجرة حصلت بين الرعيان. فذهب إبراهيم إلى (بلوطات ممرا) في حبرون، وذهب لوط إلى سدوم مدينة الأشرار.

كان اختيار لوط سيئاً جداً، لأنه لم يأخذ بعين الاعتبار أخلاق الشعب الذي سيقوم بينهم، والتأثير المدمر لأخلاقهم على أمانته واستقامته. وإذ أقام بينهم تألم كثيراً من مشاهد الفوضى، ومن الأعمال الأثيمة، «لأنَّ الأُمُورَ الْحَادِثَةَ مِنْهُمْ سِرّاً ذِكْرُهَا أَيْضاً قَبِيحٌ» (أفسس ٥: ١٢).

كانت الخطية الرئيسية في سدوم أن «إِنَائِهِمْ اسْتَبَدَّلْنَ الْإِسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيِّ بِالَّذِي عَلَى خِلَافِ الطَّبِيعَةِ ٢٧ وَكَذَلِكَ الذُّكُورُ أَيْضاً تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الْأُنْثَى الطَّبِيعِيِّ اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءِ ذُكُوراً بِذُكُورٍ» (رومية ١: ٢٦-٢٧). ومع أنهم يعرفون أن الله حكم بالموت على من يعمل هذه الأعمال، لكنهم لم يمتنعوا عن عملها وحسب، بل كانوا يسرون بفاعليها، لذلك قال عنهم الكتاب المقدس: «وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَاراً وَخَطَاءَةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا» (تكوين ١٣: ١٣).

منذ البدء «خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ... ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «اِثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ» (تكوين ١: ٢٧-٢٨). وهذا يعني أن الله بحسب فكره ومقاصده قد خلق جنسين فقط لا ثالث لهما، الذكر والأنثى ليثمروا ويملؤوا الأرض.

وعندما أمر الربُّ نوحًا ببناء الفُلك لكي يَجْلِبَ لاحتقاً الطوفان على الأرض، أمره أن يدخل هو وزوجته إلى الفُلك، وأن يدخل أبناءه الثلاثة وزوجاتهم الثلاث إلى الفلك، وأن يدخل كلَّ حيٍّ من كلِّ ذي جسد اثنين، ذكراً وأنثى. وبعد انتهاء الطوفان طلب الله إلى نوح أن يخرج هو وامرأته وبنيه وعائلاتهم وكلَّ الحيوانات التي معه لتتوالد وتثمر وتكثر على الأرض. فمخّط الله

مِنَ البداية واضحٌ، إذ خَلق الكائنات الحيّة (إنسان، حيوان) ذكراً وأنثى لتتوالد. إذا من مقاصد الله في خلق الإنسان ذكراً وأنثى هو نشوء علاقة مُقدّسة بين رجل واحدٍ، وامرأة واحدة يَخْتارُها زوجةً وشريكاً لحيايته، ولا يُفَرِّق بينهما إلا الموت.

لكنّ سكان سدوم وعمورة والمدن التي حولهما، بسبب الخطية التي سادت عليهم، عملوا كل ما استطاعوا ضد قداسة الله، أي ضد القانون الأخلاقي الذي وضعه الله للجميع، فكانت النتيجة إن الرّب أمطر من السماء كبريتاً وناراً، وقَلَبَ تلك المُدن، وكلّ الدائرة، وجميع سُكّان المُدن ونباتات الأرض، ليكونوا عبرة لغيرهم، بعد أن نالوا جزاءهم.

فيما بعد أكد الرب دينونته على هذه الخطية عندما أوصى في الناموس، «إِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ فَقَدْ فَعَلَ كِلَاهُمَا رِجْسًا. انَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيَهُمَا» (لاويين ٢٠: ١٣). ومع الأسف فإن هذه الرجاسة لم تنته بين الأمم بدمار سدوم وعمورة، ولا بين اليهود، نسل إبراهيم الجسدي، إذ استمرت حتى يومنا هذا مؤكدة تحدي الإنسان لله.

يخبرنا الكتاب المقدس إنه في زمن القضاة^١ حين لم يكن ملك في إسرائيل، إن رجال بنيامين «رِجَالِ الْمَدِينَةِ رِجَالٌ يَلِيَعَالٌ أَحَاطُوا بِالْبَيْتِ قَارِعِينَ الْبَابَ وَكَلَّمُوا الرَّجُلَ صَاحِبَ الْبَيْتِ الشَّيْخَ قَائِلِينَ أَخْرِجِ الرَّجُلَ الَّذِي دَخَلَ بَيْتَكَ فَتَعْرِفُهُ» (قضاة ١٩: ٢٢).

وبعد أن صار لهم ملك لم تتغير أمورهم. فها هو رَحْبَعَام^٢ بن سُلَيْمَانَ الذي ملك على يهوذا سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، كان في أيامه «مَأْبُونُونَ» (شواذ جنسياً) في الأرض. فَعَلُوا حَسَبَ كُلِّ أَرْجَاسِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (١ ملوك ١٤: ٢٤). فهذه الخطية ليست حكرًا على بني إسرائيل،

١ - بَدَأَ زَمَنُ الْقِضَاةِ عَامَ (١٣٧٥ ق. م)

٢ - نَحْوَ (٩٣٠ ق. م)

ولا من بنات أفكارهم، إنها من أرجاس الأمم، وقد لصقت بهم، وهي تعود زمنياً إلى أيام سدوم وعمورة.

استمرت هذه الخطية بالتواجد بين اليهود حتى أيام الملك آسا^١ الذي «أزَالَ الْمَأْبُونِينَ مِنَ الْأَرْضِ، وَنَزَعَ جَمِيعَ الْأَصْنَامِ الَّتِي عَمَلَهَا آبَاؤُهُ» (١ ملوك ١٥: ١٢). وبعد سنين طويلة في أيام الملك يَهُوشَافَاظ^٢ قيل عنه: «وَبَقِيَةُ الْمَأْبُونِينَ الَّذِينَ بَقُوا فِي أَيَّامِ آسَا أَبِيهِ أَبَادَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ» (١ ملوك ٢٢: ٤٦). وفي أيام الملك يُوْشَايَا^٣ قيل عنه: «وَهَدَمَ بُيُوتَ الْمَأْبُونِينَ الَّتِي عِنْدَ بَيْتِ الرَّبِّ حَيْثُ كَانَتِ النِّسَاءُ يَنْسُجْنَ بُيُوتاً لِلسَّارِيَةِ» (٢ ملوك ٢٣: ٧).

أما بين بقية الأمم والشعوب، فقد أخذت هذه الخطية طابعاً جديداً بمرور الوقت، هو الزواج الشرعي. وبحسب ويكيبيديا (كان نيرون^٤ أول إمبراطور روماني يتزوج برجل، الذي يقال أنه تزوج من اثنين من الذكور في مناسبتين مختلفتين.. وقد تم الاحتفال بهذا الزواج في كل من اليونان وروما في احتفالات عامة)^٥.

ولا شك أن هذا الأمر لم يكن مقتصرأً على روما فقط، بل امتد إلى الكثير من الأمم. ورغم أنه في البداية لم يكن لدى المثليين أي اهتمام بالزواج المثلي^٦، إلا أن قبول أفراد المجتمع بمرور الوقت للعلاقات المثلية، جعل الزواج المثلي مطلباً ملحقاً عند المثليين، وأولوية في برنامجهم.

١- نحو (٩١٠ ق. م)

٢- نحو (٨٧٢ ق. م)

٣- نحو (٦٤٠ ق. م)

٤- حكم بين عامي (٥٤ - ٦٨ م)

٥- https://ar.wikipedia.org/wiki/زواج_المثليين.

٦- هو زواج يُعقد بين شخصين من نفس الجنس، أو من نفس الجندر، سواء في مراسم زواج مدني أو ديني.

وبحسب ويكيبيديا^١، في أكتوبر (١٩٨٩) أصبحت الدنمارك أول دولة تعترف قانونياً بالعلاقات المثلية في شكل «الشراكة المسجلة». وفي عام (٢٠٠١) أصبحت هولندا أول بلد يسمح بزواج المثليين. ومنذ ذلك الحين تم السماح بزواج المثليين في كل من بلجيكا (٢٠٠٣)، وإسبانيا (٢٠٠٥)، وكندا (٢٠٠٥)، وجنوب أفريقيا (٢٠٠٦)، والنرويج والسويد (٢٠٠٩)، والبرتغال (٢٠١٠)، والأرجنتين (٢٠١٠)، والدنمارك (٢٠١٢)، وفرنسا والبرازيل والأوروغواي ونيوزيلندا (٢٠١٣)، وإنكلترا وويلز (٢٠١٤)، والولايات المتحدة (٢٠١٥)، وكولومبيا (٢٠١٦)، وفنلندا وألمانيا وأستراليا (٢٠١٧). كما تعترف بعض الدول على المستوى الوطني، بما يسمى، «الاتحاد المدني والشراكة المنزلية للمثليين»، حيث يُعطى هؤلاء حقوقاً أقل من حقوق الزواج الكاملة. من بين هذه الدول إسرائيل، سلوفينيا، جمهورية التشيك، سويسرا، المجر، كرواتيا، اليونان، قبرص، تشيلي، إيطاليا. أما البلاد الإسلامية فهي بشكل عام في حالة صمت.

من بين كل القادة العالميين الكبار وحده فلاديمير بوتين رئيس روسيا يعارض الزواج المثلي علناً. حيث أگد في اجتماع مجموعة العمل الخاصة بإعداد التعديلات على الدستور (٢٠٢٠-٢) رفضه القاطع لتبني مفهوم الوالد رقم واحد، والوالد رقم اثنين، عوضاً عن كلمتي الأب والأم المعهودتين في المجتمع الروسي ما دام رئيساً للبلاد. وبذلك يدافع عن المجتمع التقليدي، والقيم المسيحية، إذ يعتبر أن المجتمع يتكون من شخصيات، وليس من أعداد. علماً أن صيغة الوالد رقم واحد، والوالد رقم اثنين، قد انتشرت مؤخراً في عدد من الدول الغربية توازياً مع انتشار العائلات من جنس واحد (والدين ذكور، أو والدين إناث). وهي تُستخدم في الوثائق الرسمية في الولايات المتحدة وفرنسا اعتباراً من (٢٠١١م)، ويتم تبرير ذلك بتزايد عدد العائلات من جنس واحد.

^١ - زواج المثليين [/https://ar.wikipedia.org/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)

من خلال الاستطلاعات والدراسات التي أُجريت في العديد من بلدان العالم تبين أن هنالك ميلاً قوياً لدعم حق المثليين بالزواج، وبالمقابل شهدت الأصوات المعارضة تراجعاً وانحساراً سريعاً على حساب رجحان كفة التأييد الشعبي. وكمثال على ذلك أظهرت استطلاعات رأي (مؤسسة غالوب)^١ على مدى أكثر من عقدين من الزمن في الولايات المتحدة الأمريكية، التزايد السريع في دعم الشعب الأمريكي لحق المثليين بالزواج في جميع أنحاء البلاد. بينما بالمقابل وبنفس الوقت فقد شهدت الأصوات المعارضة تراجعاً وانحساراً سريعاً على حساب رجحان كفة التأييد الشعبي.

في عام (١٩٩٦)، كانت نسبة^٢ الأمريكيين المعارضين لزواج المثليين (٦٨٪)، بينما دعمها (٢٧٪) فقط. أما في عام (٢٠١٨) فانعكست الأمور مع تطور المجتمع، فبلغت نسبة الأمريكيين المؤيدين لحق المثليين بالزواج (٦٧٪)، وبالمقابل فكانت نسبة المعارضين (٣١٪) فقط.

وفي أيامنا هذه، في الدول التي قبلت الزواج المثلي، يُعتبر الاعتراف بزواج المثليين من حقوق الإنسان، والحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والدينية. وتبعاً لذلك فقد تغيرت المناهج في المدارس لتتماشى مع فكرة الزواج المثلي، وهذا ما جعل الكنيسة تعاني في بشارتها، بل في استمراريتها. فأبي اعتراض على الزواج المثلي، أو رفض إقامة مراسيم الزواج المثلي في الكنيسة، أو رفض قبول عضوية المثليين في الكنيسة، أو رسامة المثليين شيوخاً، أو رعاةً، قد يعني إغلاق الكنيسة، أو تعرض رعاتها للغرامات المالية والسجن. وإذا علمنا أن قسماً كبيراً من رعاة الكنائس يتقاضون رواتبهم من الدولة، فسندرك حجم المعاناة الأخلاقية والاقتصادية التي وقع فيها هؤلاء الرعاة بسبب حقوق المثليين، إذ لم يعد أحد من قسوس الكنيسة -لا

^١ - زواج المثليين https://ar.wikipedia.org/wiki/زواج_المثليين

^٢ - نفس المرجع السابق

سيما الذين يتقاضون رواتبهم من الدولة- قادراً بطريقة قانونية أن يعظ عن دينونة الله على المثلية الجنسية، أو أن يعطي رأي الكتاب المقدس بزواج المثليين، أو ممارساتهم، أو التكلم عن الولادة الطبيعية، أو دعمها، لأن الزواج المثلي أصبح قانوناً.

إن الزواج المثلي، وتدريب الأطفال مناهج خاصة تُعلّم عن أبوين من نفس الجنس، يساعدان على انتشار الفساد وقبوله، وخلط التسميات. فما كان يُعتبر سابقاً تحرشاً جنسياً، أو عيباً أخلاقياً، صار بمرور الوقت حقاً طبيعياً ومشروعاً، لأنه ممارسة للحب ضمن القانون.

إن قانون الزواج المثلي يقود الناس لرفض مشروع الله من نحو الإنسان، ورفض سيادته على حياتهم، فبينما يدعو الله أن تكون العائلة مؤلفة من رجل وامرأة، نراهم لا فرق لديهم كيفما تشكلت العائلة، من رجلين، أو امرأتين. وربما في المستقبل من رجل وحيوان، أو إنسان وروبوت (آلة). المهم عندهم كل ما يؤكد سيادة الله على حياتهم مرفوض.

في الولايات المتحدة الأمريكية التي تُعتبر حضان الكنيسة الإنجيلية في العالم، يبدو أنه يوجد قادة سياسيين أو اقتصاديين يعملون بشكل ممنهج على تدمير المسيحية في بلادهم من خلال تشجيع الزواج المثلي. وهذا ما قاله كبار قادة أمريكا الدينيين للرئيس دونالد ترامب - رجل ثري جداً لديه مبان في أغلب دول العالم- عندما اجتمعوا به قبل نجاحه في الانتخابات: إن المسيحية الآن في أمريكا هي في صراع وجود، والرؤساء الأمريكيون يعملون على تدميرها. فأجابهم: إذا نجحت في الانتخابات وحكمت أمريكا، أعدكم لن أدمر المسيحية. وتابع يقول: أنا حافظت على ثروتي لأني صادق في وعدي. من أجل هذا دعمه القادة المسيحيون، وطلبوا من جميع المسيحيين أن يؤيدوه في الانتخابات، فنجح وصار رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، لأنه وعد أن لا يقف ضد المسيحيين.

إن ما نحن فيه قد سبق وأنبأنا عنه الرب يسوع المسيح قبل حوالي ألفي عام عندما قال: « كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ.. هَكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهِرُ ابْنُ الْإِنْسَانِ » (لوقا ١٧ : ٢٨-٣٠). أي أن الأيام التي ستسبق مجيئه الثاني ستكون شبيهة بأيام لوط التي سادت فيها المثلية الجنسية في سدوم وعمورة. وها نحن في هذه الأيام الأخيرة التي تشهد عنها حقوق المثليين في كل العالم، وهي أيام ستنتهي بنار وكبريت كسدوم وعمورة، فلا يمكن أن ينج الإنسان في تحديه لله وهو ليس إلا غباراً في الميزان يُحسب.



الفصل السادس

التحدي الرابع، وغرق فرعون ومركباته.

لم يَظَلْ الوقت كثيراً حتى فَسَدَت البشريّة ثانية بعد الطوفان، فانتشر الظلم، والقتل، والمثلية الجنسية، وغيرها من الشرور. لذلك اختار الله إبراهيم ليكون رأساً لأمة تحمل رسالته لبقية الأمم، فباركه وتراءى له في كنعان، «۷ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَوْرِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الْأَرْضَ لِتَرْتَهَا»... ۱۳.. «اعْلَمْ يَقِينَا أَنْ نَسَلَكَ سَيَكُونُ غَرِيباً فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ (مصر) وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيَذَلُّوهُمْ اذْبَعْ مِئَةَ سَنَةٍ. ۱۴ ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلَاكِ جَزِيلَةٍ» (تكوين ۱۵).

وُلِدَ لإبراهيم إسماعيل وإسحاق. وإسحاق وُلِدَ يعقوب وعيسو. وليعقوب وُلِدَ اثني عشر وُلداً شكّلوا أسباط إسرائيل الاثني عشر. يُدعى يعقوب أبو الأسباط، ويطلق اسمه مجازاً على كامل أمته.

عندما حدث جوع في أرض كنعان، ذهب يعقوب البالغ من العمر (۱۳۰) سنة، مع أبنائه إلى مصر وتغربوا هناك، حيث كان يوسف ابنه متسلطاً في مصر. وكان عدد الذين نزلوا إلى مصر سبعين شخصاً بما فيهم ابنا يوسف (تكوين ۴۶ : ۸ - ۲۷). واستقر يعقوب وعائلته في أرض جاسان حيث أقام (۱۷) عاماً، حتى بلغ من العمر ۱۴۷ سنة.

لما أحسَّ يعقوب بدنو أجله استدعى كل بنيه الاثني عشر وباركهم، وأوصاهم أن يدفنوه مع آباءه إبراهيم وإسحق في مغارة حقل المكفيلة في أرض كنعان. ثم ضمَّ رجليه إلى السرير، وأسلم الروح (تكوين ۴۹). وتتميماً لوصيته نقله أولاده إلى أرض كنعان، ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل لتكون مدفناً خاصاً له ولأسرته، وقد شجعه على ذلك وعد الله بأن الأرض كلها ستكون له ولنسله.

بعد سنوات قال يوسف لإخوته: أنا موشك على الموت، ولكن الله سيفتقدكم ويخرجكم من هذه الأرض ويردكم إلى الأرض التي وعد بها بقسم لإبراهيم وإسحق ويعقوب. واستحلف يوسف إخوته قائلاً: عندما يفتقدكم الله خذوا عظامي معكم من هنا.

ثم مات يوسف وإخوته جميعاً، وكذلك سائر ذلك الجيل. ونما بنو إسرائيل، وتوالدوا وتكاثروا حتى اكتظت بهم الأرض. وما لبث أن قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف وما فعله من أجل صون مصر من الموت جوعاً، فتآمر عليهم مع شعبه لكيلا يتكاثروا وينضموا إلى أعدائه إذا حدثت حرب ما «فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكِي يُدْأُوهُمُ بِأَثْقَالِهِمْ» (خروج ١: ١١). ولكن كلما زادوا من إذلالهم، ازداد تكاثرهم ونموهم، فتخوفوا منهم. عندها تفاقم عنف استعباد المصريين لبني إسرائيل، فنَغَصُوا حياتهم بأشغالٍ شاقّةٍ بالطين واللّبن وسائر الأشغال في الحقول، وكانوا في هذا كله يستخدمونهم من دون رحمة.

وإذ تكاثر العبرانيون جداً، أصدر فرعون أمره لجميع شعبه قائلاً: «كُلُّ ابْنِ يُولَدُ (للعبرانيين) تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ لِكِنَّ كَلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا». فتصرف كإله، يमित من يشاء، ويحي من يشاء، يُلغِي أماً ويتعهد أماً. أمره كان قانوناً غايته فناء الأمة العبرية بأكملها.

في ذلك الوقت وُلِدَ موسى، ولما عَجَزَت أُمُّهُ من إخفائه، أخذت سَلَّةً من قصب الماء، وطلتها بالقطران والزفت، وأضجعت الولد فيها، ووضعتها بين الخيزران على حافة النهر.

نزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، فرأت السلة بين الخيزران، فأرسلت جاريتها لتأخذها. ولما فتحتها رأت فيها صبياً يبكي، فأشفقت عليه وتبنته، وأسمته موسى، ومعناه المُنْتَشَل من الماء.

لمّا صار موسى شاباً ابن أربعين سنة خرج يوماً إلى بني قومه لينظر إلى حالتهم وذُلُّهم، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من بني قومه، فقتل المصري

وطمره في الرمل. وإذ سمع فرعون بهذا الخبر، حاول أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون إلى أرض مديان.

بعد ذلك مات ملك مصر. وكان بنو إسرائيل مازالوا يرزحون تحت نير عبوديتهم، فصرخوا، وصعد صراخهم إلى الله من عبوديتهم. فأصغى الله إلى أنينهم، وذكر ميثاقه مع إبراهيم.

بينما كان موسى يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان في جبل حوريب، وله من العمر آنذاك ثمانون عاماً، «ظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عَلَيَّةٍ» (خروج ٣: ٢)، وقال له: «فَالآنَ هَلَمْ فَأَرْسَلَكُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ» (خروج ٣: ١٠)، إلى أرضٍ جَيِّدَةٍ وَوَسِيعَةٍ إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبناً وَعَسلاً إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. ووعدته بأن يؤيده بالعجائب والآيات.

وهكذا بعد نحو أربعمئة عام استخدم الله موسى ليُخرج نسل إبراهيم من أرض مصر كما وعد إبراهيم، «الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِيئُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاكَ جَزِيلَةٍ». ومن ذلك الوقت فصاعداً صار موسى قائداً للأمة العبرانية.

في مصر القديمة كان الفرعون عند شعبه إلهاً بين الناس، وإنساناً بين الآلهة، فهو بشر يشغل مركزاً إلهياً، وهو الوسيط بين شعب مصر والآلهة في الكون. وفي زمن مبكر كان فرعون نفسه إلهاً متجسداً على الأرض، وبخاصة الإله «حورس» معبود مصر العليا، ولكن بمرور الزمن اهتزت مكانته كإله، وأصبح يقال عنه إنه «ابن رع» أي أنه أصبح إلهاً من الدرجة الثانية بعد أن كان إلهاً مستقلاً.

كان الفرعون الجالس على العرش يُعتبر تجسيدا للإله «حورس»^١، وعندما يموت يتحد «بأوزوريس»^٢ في عالم الأموات، وينضم إلى زمرة الأسلاف.

^١ - حورس : إله الشمس عند قدماء المصريين، وكان يُعتبر رمز الخير والعدل.

^٢ - أوزوريس: إله البعث والحساب، وهو رئيس محكمة الموتى عند قدماء المصريين.

لذلك كان للملوك السابقين - كل الملوك الأموات - دور حيوي في العبادة اليومية في الهيكل، لارتباطهم بالآلهة.

إن اعتبار الفرعون نفسه إلهاً، أو ابن إله، هو تحدي صارخ لله. لذلك قال الرب لموسى قبل الضربة العاشرة: «فَأَيُّ أُجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَأَضْرِبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ» (خروج ١٢: ١٢).

عندما أرسل الرب موسى ليُخرج الشعب من مصر، قال له: «١٩ وَلِكَيْتِي أَعْلَمَ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا يَبِيدُ قُوَّتِي ٢٠ فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ. ٢١ وَأَعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. ٢٢ بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةٍ بَيْنَها أُمَّتَعَةٌ فِصَّةٍ وَأُمَّتَعَةٌ ذَهَبٍ وَثِيَاباً وَتَصْعُقُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ^١ (فتغنمون) الْمِصْرِيِّينَ» (خروج ٣).

وتتبعاً لوعده، أخرجهم الرب آيات وعجائب وذراع رقيقة، فعلم المصريون أن الرب هو الله وليس آخر سواه. هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. وأن ظلمهم، وقساوتهم، وشرهم تجاه العبرانيين لا بد أن يحصدوا نتائجهم، فالذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. فسقطوا تحت ضربات الله القاسية جداً.

كانت الضربات تأتي على أرض مصر كلها، أما أرض جاسان حيث يقيم العبرانيون فلم يُصبها شيء من هذه الضربات. وفي كل مرة كان موسى يقول لفرعون: «الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلاً: اطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي الْبَرِّيَّةِ» (خروج ٧: ١٦)، كان قلبه يشدد، فيما ظل ويرفض ظاناً إنه الإله الأعظم. وكان كلما قسى فرعون قلبه كلما قساه الله أكثر وشدده، وهذا ما

^١ - قارن (خروج ١٢: ٢٦)، هي فوائد تعبه من مُسَخَّرِهِمِ الْمِصْرِيِّينَ طِيلَةَ (٤٠٠) عام، وتتميماً لوعده الرب، «تَحْرُجُونَ بِأَمْلَاكٍ جَزِيلَةٍ».

يفعله الله بكل من يرفضه «كَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ
أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ» (رومية ١: ٢٨).

و قبل الضربة العاشرة أمر الرب بني إسرائيل بعمل الفصح ورش دم خروف
الفصح على القائمتين والعتبة العليا في كل بيت، قائلاً لهم: «وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ
عَلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ
ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ» (خروج ١٢: ١٣).

«٢٩ فَحَدَّثَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ إِنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَكْرِ
فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرِ الْأَسِيرِ الَّذِي فِي السَّجْنِ وَكُلَّ بَكْرٍ بِهَيْمَةٍ.
٣٠ فَقَامَ فِرْعَوْنُ لَيْلًا هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صَرَخُ عَظِيمٍ فِي
مِصْرَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ. ٣١ فَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلًا وَقَالَ:
«قُومُوا خُرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمْ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً وَادْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ
كَمَا تَكَلَّمْتُمْ. ٣٢ خُذُوا غَنَمَكُمْ أَيْضاً وَبَقَرَكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ وَادْهَبُوا. وَبَارِكُونِي
أَيْضاً...» ٣٧... فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمَسِيسَ إِلَى سَكُوتَ نَحْوِ سِتِّ مِئَةِ
الْفِ^١ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الْأَوْلَادِ» (خروج ١٢).

عندما أطلق فرعون الشعب، لم يقودهم الله في طريق بلاد الكنعانيين
والأموريين مباشرة على الرغم من قصرها. إنما اقتادهم عبر صحراء البحر
الأحمر. وحمل موسى عظام يوسف معه لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل
بحلفٍ قائلاً: الله سيفتقدكم يوماً، فأخرجوا عظامي من هنا معكم.

وقال الرب لموسى: قل لبني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث، بين
مجدل والبحر، تجاه بعل صفون على البحر. فيظن فرعون أن بني إسرائيل
تائهون في الأرض وأن البرية انغلقت عليهم. وأقسي قلب فرعون فيتبعهم،
وأجهز على فرعون وجميع جنوده، ويعلم المصريون أني أنا الرب. ففعل بنو
إسرائيل كما قيل لهم.

١ - دخلوا مِصْرَ سبعين شخصاً، وخرجوا منها حوالي اثنين مليون شخص.

فلَمَّا سَمِعَ فرعون ملك مصر، أن بني إسرائيل خرجوا، انقلب رأيه ورأى رجاله عليهم، وقالوا: ماذا عملنا، فأطلقنا بني إسرائيل من خدمتنا. فأعدَّ مركبته واصطحب جيشه معه، ست مئة مركبة وسائر مركبات مصر، وحمل عليها قادة المركبات. وقسَّى الرب قلب فرعون ملك مصر، فطارد بني إسرائيل الذين غادروا مصر بيدٍ رفيعةٍ. وسعى المصريون وراءهم وأدركوهم وهم متجمعون في طريقهم إلى كنعان، عند البحر الأحمر، ولما رآهم العبرانيون يندفعون نحوهم، ارتعبوا واستغاثوا بالرب. « ١٣ فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوا. قِفُوا وَأَنْظَرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمْ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمْ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ لَا تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الْأَبَدِ. ١٤ الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ» (خروج ١٤).

وقال الرب لموسى: ارفع عصاك وابسط يدك فوق البحر وشقه، فيجتاز بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة. وأنا أقسِّي قلوب المصريين فيدخلون وراءهم، فأجهز على فرعون وجميع جنوده ومركباته وفرسانه. «فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ» (خروج ١٤: ١٨). ومد موسى يده على البحر، فأرسل الرب على البحر ريحاً شرقيةً عاصفةً طول الليل حتى أيبس ما بين مياهه فانشقت المياه، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على الأرض اليابسة، والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون بجميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه بعد أن كان الرب قد منعهم، ودخلوا إلى وسط البحر. وعندما خرج العبرانيون من البحر، ارتدَّ البحر إلى موضعه على المصريين، فجرفهم. وغطَّى الماء مركبات فرساناً جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. ولم يبق منهم ولا واحد. «فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ» (خروج ١٤: ٣٠).

كان تحدي فرعون للرب شديداً جداً، فرغم كل الآيات التي صنعها الرب أمامه لم يتعظ، فتصرف بحماقة وكأنه إله أعظم من الرب، فنال جزاء تحديه ومن معه موتاً في التراب. فالرب هو الله، وليس آخر سواه.

كانت مدة غربة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر أربع مئة وثلاثين سنة. حسب كلام الرب لإبراهيم. أما موسى فقَبِلَ وفاته، راجع مع الشعب سنن الناموس، ولخَّص لهم تاريخ رحلاتهم، ومعاملة الله لهم في البرية، وأنذرهم من الارتداد، قائلاً لهم أن يحفظوا في قلوبهم كلام الشريعة، ويعلموه لأبنائهم، حتى يحرصوا أن يعملوا بجميع أحكامها. لأنها ليست كلمات على غاية الأهمية فحسب، بل هي حياتهم. وبها يعيشون طويلاً في الأرض التي هم عابرون نهر الأردن إليها ليرثوها. ثم بارك الأسباط، ومات.



الفصل السابع

التحدي الخامس، والسبي البابلي.

عندما اختار الله إبراهيم ليكون رأساً للأمةٍ تحمل رسالته لبقية الأمم، باركه واخبره أن نسله «سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ (مصر) وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيُذَلُّونَهُمْ اَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ١٤ ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاكٍ جَزِيلَةٍ. ١٥ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلَامٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. ١٦ وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ (نسلك) إِلَى هَهُنَا (أرض كنعان) لِأَنَّ ذُنُوبَ الْأُمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الْآنَ كَامِلًا». «(تكوين ١٥). فالرب لن يطرد الأموريين سكان أرض كنعان من أمام نسل إبراهيم إلى أن يرتكبوا من الإثم ما يستوجب العقاب.

كان الأموريون قد حكموا أجزاء من أرض كنعان، وسورية، وبابل بعض الزمن. وكان البابليون قبل سنة (٢٠٠٠ ق.م) يدعون سورية وفلسطين، أرض الأموريين. وكان حمورابي الذي عمل الشرائع والقوانين، أشهر ملوك هذه الأسرة. وكانت مدينة ماري، التي تقع على نهر الفرات وتدعى الآن، تل الحريري، عاصمة الأموريين في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد. وكان الأموريون في عصر إبراهيم أهم قبيلة في الأرض الجبلية في جنوب كنعان، الأرض التي وعد الله بها إبراهيم (تكوين ١٤ : ٧ و ١٣).

كان الله يعلم أن الأموريين سيزدادون شراً، ولا بد من عقابهم يوماً ما، وجانب من هذا العقاب أن تؤخذ أرضهم وتعطى لنسل إبراهيم. وهو في رحمته، منح الأموريين وقتاً طويلاً للتوبة، مع أنه يعلم تماماً أنهم لن يتوبوا، لكن لكي يَسْتَدَّ كُلٌّ فِيهِمْ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللَّهِ.

تغرب نسل إبراهيم في أرض مصر وهناك تكاثر جداً، فاستعبدهم المصريون وأذلّوهم، وبعد نحو أربع مئة عام استخدم الله موسى ليخرجهم من أرض

مصر كما وعد إبراهيم. وإذ صاروا في البرية أعطاهم الناموس وطلب منهم أن يعيشوا بمقتضاه لكي يكونوا له شعباً متميزاً عن بقية الشعوب.

كان الناموس تعبيراً عن فكر الله، فهو دعوة لعمل الصلاح، وللتخلي عن الشر والفساد. وقد وعد الرب نسل إبراهيم بالبركة إن أطاعوا الناموس، وبالقصاص إن خالفوه.

جاء في الوصية الأولى والثانية من الوصايا العشر، « ٣ لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. ٤ لا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالاً مَنُحُوتاً وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. ٥ لا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ آلَهٌ غَيْرٌ » (خروج ٢٠). هذه الكلمات التي قالها الرب للعبانيين تؤكد أمرين:

الأول، إن الشعب سيتعرض لتجربة عبادة آلهة غريبة.

الثاني، الإنذار الشديد للعبانيين بأن الوقوع في المحذور سيرتب عليكم دينونة قاسية.

وللأسف فقد وقع العبرانيون في المحذور، أي في عبادة الأوثان، والتماثيل وكل شيء يرمز إلى آلهة أخرى.

كانت إقامة العبرانيين الطويلة في أرض مصر قد جعلتهم يتشبعون بأفكار المصريين الدينية والفلسفية، وظهر هذا بوضوح قبل أن يصلوا أرض كنعان، إذ وهم بعد على الطريق في سيناء اجتمعوا على هارون أخا موسى وقالوا له: « قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا »، فصنع لهم عجلاً ذهبياً مَسْبُوكاً، هو سيد آلهة ممفيس في مصر، وسَجَدُوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

خرج العبرانيون من مصر نحو سنة (١٤٤٦ ق.م)، وتغربوا في أرض سيناء أربعين سنة مات في نهايتها موسى النبي، وتولى يشوع المسؤولية بعده، فدخل بالشعب إلى أرض كنعان نحو (١٤٠٦ ق.م) بعد أن طرد سكانها ومن

بينهم الأموريين، حسب وعد الرب لإبراهيم أنه في «الجيل الرابع يَرْجِعُونَ (نسلك) إِلَى هَهُنَا (أرض كنعان) لَأَنَّ دَنْبَ الْأُمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الْآنَ كَامِلًا». ثم قام بتقسيم الأرض في كنعان بين الأسباط الاثني عشر (يشوع ١٣-٢٢) ليمهد سُبُل الراحة لشعبه. وفي أيامه تخلى العبرانيون عن الخلط بين عبادة الله، والعبادة الوثنية حيث استقروا على عبادة الله.

بعد وفاة يشوع بدأ عصر القضاة (١٣٧٥ - ١٠٥٠ ق.م) الذي استمر نحو (٣٢٥) عامًا، وفيه أعاد العبرانيون سيرتهم الأولى، وأخذوا يجمعون بين الاعتقادين من جديد. بل أنهم أخذوا يبنون المذابح للبعل. وزاد في ابتعادهم عن الله إنهم جاوروا في أرض كنعان شعوباً سورية كانت تعبد الآلهة المتعددة والأصنام العريقة بتراتها الديني والأدبي والفني.

إن الأوثان التي عُبدت عند الأمم والشعوب كثيرة، ومتنوعة، وبلا شك كلها عبادات شيطانية، منها الكواكب والحيوانات والمزروعات والناس والنيران، ومنها رموزها كالصور والتمائيل. وإذ اشترك العبرانيون بهذه العبادات أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور والدواب والزواحف. بعد انتهاء عصر القضاة ابتدأ عصر الملوك. وفي أيام الملك داود (نحو ١٠١٠ ق.م) كانت أورشليم في يد الكنعانيين، فأخذها منهم، وجعلها عاصمةً لسلالته التي وعدّها الرّب بملكٍ أبديّ يُخضع لها كل الشعوب. ثُمَّ نَقَلَ إليها تابوت العهد - مسكن يهوه- فصارت مركز إسرائيل الديني ورجائه، فلعبت دوراً رئيسياً في إيمان إسرائيل، وهذا ما جعل المؤمنين يحجون إليها مراراً كثيرة.

ولأن يهوه جعل اسمه في أورشليم، أدرك العبرانيون عدم شرعية سائر المعابد، والعبادات المحيطة بهم، وأن كل القبائل والأمم عليها أن تحجّ إلى أورشليم، مدينة الله، حيث نصب الله خيمته، لتقديم الطاعة والخضوع له. وهكذا بظهور صموئيل وداود، تقوّت عبادة الله، وتراجعت عبادة الأصنام بشكل كبير جداً واستمرت هكذا حتى أيام الملك سليمان ابن داود (نحو ٩٧٠ ق.م)،

حيث ارتدّ الشعب مجدداً إلى الأوثان. بل إن سليمان نفسه مال قلبه وراء الآلهة الغربية، لتأثره بنسائه الأجنبية اللواتي احتفظن بمعتقداتهن الوثنية إذ قيل عنه، « ١ وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءَ غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ ٢ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ]. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. ٣ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ. فَامْلَأَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. ٤ وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ٥ فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَتِ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلِكُومَ رِجْسِ الْعَمُونِيِّينَ. ٦ وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ السَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. ٧ حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُزْتَفَعَةً لِكُمُوشَ رِجْسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلِكَ رِجْسِ بَنِي عَمُونَ. ٨ وَهَكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَدْبَحْنَ لِإِلِهَتِهِنَّ. ٩ فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاى لَهُ مَرَّتَيْنِ، ١٠ وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ إِلَهَةً أُخْرَى. فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. ١١ فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: [مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أَمَرُّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقاً وَأَعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. ١٢ إِلَّا إِنِّي لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أَمَرُّقُهَا] (١ ملوك ١١).

إن فساد هذه المعتقدات الوثنية -التي كانت تنسب ما في الله من صفات أزلية، إلى أحجار وأشجار وبشر هي من مخلوقات الله نفسه- لم يتوقف عند حد العبادة، بل وصل إلى سلوك الناس، حيث أسقطهم في الفجور والانحلال الخُلقي. فكان الكهنة الوثنيون الذين انتشروا بين العبرانيين يبررون لأنفسهم من الم لذات والمحرمات ما حرّمه الله، وصارت معتقداتهم مصدراً للفساد والسكر والدعارة والسرقة والغش عند الأغلبية من العبرانيين. واستمر الحال

هكذا، بل وتفاقم بعد انقسام مملكة إسرائيل إلى شمالية عاصمتها السامرة، وجنوبية عاصمتها أورشليم. ورغم كل هذا الانحطاط الأدبي لم يكف الله عن إرسال الأنبياء الواحد بعد الآخر محذراً العبرانيين من هذه العبادات الوثنية الفاسدة ومن سلوكهم المخزي، واعداء إياهم بالدينونة إن لم يكفوا عن شرهم هذا في تقليد جيرانهم من الأمم.

وإذ صارت أورشليم عاصمة للمملكة الجنوبية -يهوذا- دون المملكة الشمالية التي صارت عاصمتها السامرة، تحجّم دورها الروحي. وما زاد في تحجيم هذا الدور ما فعله الملك يَرْبَعَام، حيث أنشأ في المملكة الشمالية معابد رسميَّة تنافس هيكل أورشليم.

وبعد وقت، صارت السامرة عاصمة مزاحمة لأورشليم، مما أدى إلى تفسّخ وحدة الدور السياسي والدور الديني الذي حقّقه داود في أورشليم.

كانت المملكة الشمالية فاسدة بكل ملوكها، ورغم كل التحذيرات التي أطلقها الأنبياء كان الفساد يزداد وإغاظه الله بالمنحوتات تزداد، حتى جاء الآشوريون وهاجموا السامرة وحاصروها ثلاث سنوات. ثم استولوا على المدينة وقضوا على مملكة إسرائيل، وسبوا شعبها.

« ٧ وَكَانَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمَّ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَاتَّقُوا إِلَهَةً أُخْرَى، ٨ وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ. ٩ وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرّاً ضِدَّ الرَّبِّ إِلَهُهِمْ أُموراً لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ، وَبَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ مُزْتَفَعَاتٍ فِي جَمِيعِ مُدُنِهِمْ مِنْ بُرُجِ النَّوَاطِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. ١٠ وَأَقَامُوا لَأَنْفُسِهِمْ أَنْصَاباً وَسَوَارِيَّ عَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَصْرَاءَ. ١١ وَأَوْقَدُوا هُنَاكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُزْتَفَعَاتِ مِثْلَ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَاقَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَعَمِلُوا أُموراً قَبِيحَةً لِإِغَاظَةِ الرَّبِّ. ١٢ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا: [لَا تَعْمَلُوا هَذَا الْأَمْرَ]... ١٥ وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي

قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا
بَاطِلًا وَرَاءَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لَا يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ. ١٦
وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهُهُمْ وَعَمِلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجْلِينَ، وَعَمِلُوا
سَوَارِيَّ وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ، وَعَبَدُوا الْبَعْلَ. ١٧ وَعَبَّرُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ
فِي النَّارِ، وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ
لِإِغَاظَتِهِ. ١٨ فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
سِبْطُ يَهُوذَا وَحَدَهُ... ٢٠ فَرَدَّلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ، وَأَدَّاهُمْ وَدَفَعَهُمْ لِيَدِ
نَاهِبِينَ حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ.. فَسَيَّ إِسْرَائِيلُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَشُورَ إِلَى هَذَا
الْيَوْمِ» (٢ ملوك ١٧).

بعد سقوط السامرة. تحوّلت الآمال نحو اورشليم، التي ظهر فيها بعض
الملوك الأمناء الذين حاولوا إعادة الشعب لعبادة الرب بمساعدة الأنبياء
والكهنة الأمناء، فساهموا ببقاء مملكتهم بعد خراب المملكة الشمالية على يد
الآشوريين نحو (١٥٠) عاماً.

حاول الملك حَزَقِيَّا أَنْ يَسْتَقْطِبَ إِلَيْهِ قِبَائِلَ الشَّمَالِ، وَحَقَّقَ أَوَّلَ إِصْلَاحٍ
ديني، ثم اختبرت المدينة في عهده خلاصاً غير مألوف لدى غزو سنحاريب
الآشوري. وبعد نحو قرن من الزمان، حاول يوشيا مجدداً أن يجمع الإسرائيليين
جميعاً حول الهيكل في اورشليم لتكون العبادة محصورة في الهيكل بصورة
قطعية. فأمر الكهنة أن يطرحوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة
للبعل ولعشتاروث ولكل كواكب السماء. وأحرقها خارج اورشليم في حقول
وادي قدرون، وأباد كهنة الأصنام الذين أقامهم ملوك يهوذا ليوقدوا على
مذابح المرتفعات في مدن يهوذا وضواحي اورشليم، وكذلك قضى على الكهنة
الذين يحرقون للبعل وللشمس والقمر وللأبراج الفلكية ولسائر الكواكب.
وأخرج تمثال عشتاروث من هيكل الرب إلى خارج اورشليم إلى وادي قدرون،
وأحرقه وسحقه إلى أن أصبح غباراً، وهدم بيوت ذوي الشذوذ الجنسي
القائمة حوالي هيكل الرب. وأباد الخيل التي كرسها ملوك يهوذا لإله الشمس

عند مدخل بيت الرب، وأحرق المركبات المكرسة لعبادة الشمس. ونجس الملك جميع المرتفعات التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتاروث إلهة صيدون، ولكموش إله موآب، ولملكوم إله بني عمون. وكذلك هدم المذبح الذي شيده يربعام بن نباط في مرتفعة بيت إيل، واستغوى بذلك الإسرائيليين فأخطأوا. وبعده جاء الملك يوشيا وأزال جميع معابد المرتفعات المنتشرة في مدن السامرة، التي بناها ملوك إسرائيل لإثارة سخط الرب، وأجرى عليها ما أجراه على بيت إيل. وقتل جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح، ثم عاد إلى أورشليم. ولم يبق ملك مثله من قبل ولا من بعد، ملك رجع إلى الرب بكل قلبه ونفسه وقوته بمقتضى شريعة موسى.

«٢٦ وَلَكِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ عَلَى يَهُودًا مِنْ أَجْلِ جَمِيعِ الإِعَاظَاتِ الَّتِي أَعَاظَهُ إِيَّاهَا مَسَّى. ٢٧ فَقَالَ الرَّبُّ: إِيَّيْ أَنْزِعْ يَهُودًا أَيْضًا مِنْ أَمَايِ كَمَا نَزَعْتُ إِسْرَائِيلَ، وَأَرْفُضْ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا أُورُشَلِيمَ وَالْبَيْتَ الَّذِي قُلْتُ يَكُونُ اسْمِي فِيهِ» (٢ ملوك).

رغم الإصلاحات الوقتية، لبثت أورشليم في الواقع مدينة غير أمينة لإلهها، وهذا حدّد مصيرها. فهي خائنة من جانب ملوكها الذين استسلموا للوثنية، واضطهدوا الأنبياء، واحتقروا التعليم النبوي، وتركوا الوثنية تحطّ رحالها في الهيكل. وهي خائنة أيضاً من جانب شعبها الذي انحرف وراء العبادات الوثنية بعيداً عن شريعة الله.

إن الشر الذي انتشر في يهوذا، أشعل غضب الله ضد شعبه المتمرد، فأعلن دينونته عليهم. وتم هذا بعد أن هزمت بابل آشور، وكذلك هزمت مصر في موقعة كركميش، وأصبحت القوة العالمية الجديدة، فزحف جيشها على أورشليم، وأحرق الهيكل، وهدم أسوار المدينة الضخمة، وأخذ الشعب إلى السبي الذي استمر سبعين عاماً، وطيلة هذه المدة عاش نسل إبراهيم عبداً في الذل والمهانة، تحت نير أمة تكره اله العبرانيين، وتؤله البشر والحجر

وقوى الطبيعة. إن هذه الفترة الطويلة من العناء والتي انتهت بعد سقوط بابل، وإعلان مرسوم كورش عام (٥٣٨ ق.م)، كان لها أثر هائل في حياة إسرائيل الدينية.

كان احتمال السبي في منطق العبرانيين أمراً لا يمكن تصوّره، لأنه كان يعني تغيير لمقاصد الله من نحو شعبه، فالله الذي قادهم في رحلة الخروج من عبودية مصر إلى أرض كنعان، كيف يسمح بخروجهم من أرض كنعان عبداً إلى بابل؟ كان السبي بمثابة تخلي الله عن كل مواعيده، وأهمها التخلي عن أرض الميعاد، وخليع الملك الذي من سلالة داود، وانقطاع العبادة عن الهيكل بعد تدميره.

من أجل هذا لم يصدق العبرانيون السبي، وظنّوا أن الأمور ستعود لحالتها سريعاً. إلا أن أرميا النبي أكّد لهم أن السبي أمده طويل، وأنّ الكارثة لا بدّ من استمرارها لكي يفتن الشعب ورؤساؤه إلى أخطائهم، من فجور، وعبادة أصنام، بل إلى فسادهم الذي لا دواء له. وهكذا «تَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءً» (٢ أخبار الأيام: ٣٦: ١٦).

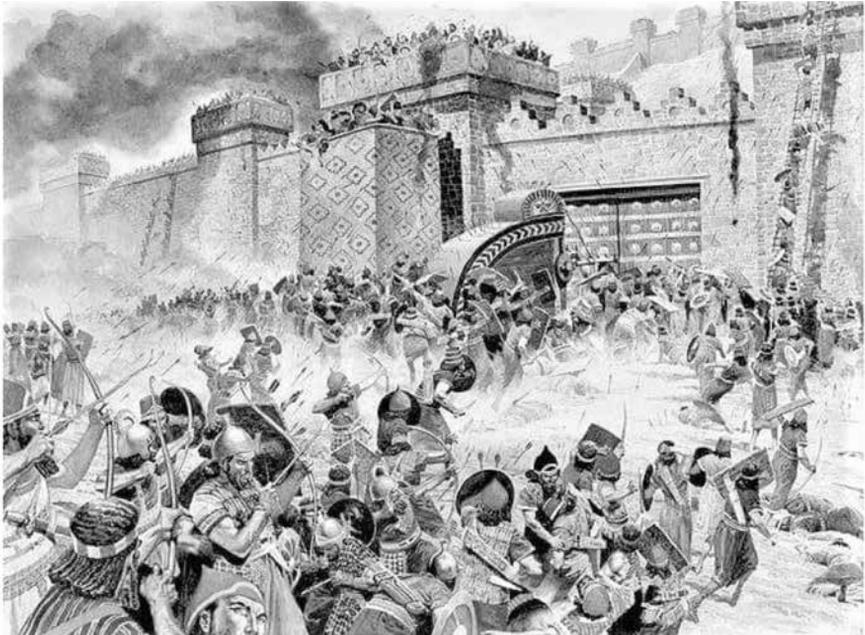
«٤ مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضاً لِكُرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَهَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنْباً صَنَعَ عِنْباً رَدِيئاً؟ ٥ فَالآنَ أَعْرِفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكُرْمِي. أَنْزِعْ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّغِي. أَهْدِمُ جُذْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. ٦ وَأَجْعَلُهُ خَرَاباً لَا يُقْضَبُ وَلَا يُنْقَبُ فَيَطْلَعُ شَوْكٌ وَحَسَكٌ. وَأَوْصِي الْعَيْمَ أَنْ لَا يُمَطِّرَ عَلَيْهِ مَطْراً» (إشعيا ٥)

إن الكرمة التي غرسها الرب وانتظر أن تصنع عنباً، قد صنعت عنباً رديئاً. والعروس البهية قد صارت زانية. والشعب المقدس الذي أخرجه الرب من أرض مصر بيد ربيعة، قد صار عاصياً متمرداً. لذلك جاء الجزاء قاسياً متناسباً مع شدة جسامه الخطأ.

لقد عاقبهم الله لأنهم زنوا بعبادة الأصنام، ولكن هذا العقاب لم يتم إلا بعد أن أرسل الله الأنبياء الواحد تلو الآخر لكي يحذروا الناس، وأعطيت فرص

عديدة للتوبة استمرت أجيالاً، كان الله فيها يحذرهم من السبي المنتظر. لكن الجميع كانوا مشغولين بأعمالهم، وخطاياهم، وليس لديهم وقت يسمعون فيه كلمة الله ليتوبوا. وأخيراً جاء يوم القضاء فسقطت السامرة وبعدها أورشليم وسيق الشعب أسرى وساد الجوع في كل المدن وأكلت النساء أولادهن وجرى نهر الدم في كل مكان. كان يوم القضاء يوماً هائلاً. إنَّ ضربات نبوخذ نصر القاسية لأورشليم هي قضاء الله الرهيب، الذي بعده، لم يبقَ على «ابنة صهيون» إلا أن تعترف بذنبها طويلاً. أما أبنائها، فأخذوا يرفعون الدعاء إلى الله لكي يُنزل بالوثنيين الشرَّ الذي ألحقوه بأورشليم ميراثه (مزمو ٧٩).

وإذ عادوا من السبي بعد سبعين عاماً، لم نعد نسمع أبداً عن تفشي عبادة الأصنام وسط إسرائيل، فالدواء المُر كان شافياً للتمام. حقا ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت!



الفصل الثامن

التحدي السادس، ودمار أورشليم.

« ٣٧ يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً
أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا.
٣٨ هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُثْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا! » (متى ٢٣).

أقام الله عهداً مع شعبه إسرائيل عند جبل سيناء ليحكم العلاقة بينه وبينهم
دعي بعهد الناموس. وهذا العهد كانت البركة فيه مشروطة بالطاعة بحسب
قول الرب: «فَالآنَ إِن سَمِعْتُمْ لَصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ
بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ» (خروج ١٩: ٥). وفي حال لم يُطع الشعب كلام العهد
تكون النتيجة «مَلْعُونُ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَسْمَعُ كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ» (ارميا ١١: ٣).
وإذ أخذ الشعب الناموس، قالوا لموسى: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفَعَلُ»
(خروج ١٩: ٨). فأعطوا بذلك موافقتهم على شروط العهد بينهم وبين الله،
وأقروا باستعدادهم لتحمل كل النتائج. لكنهم مع الأسف سرعان ما كسروا
العهد فكانت اللعنة من نصيبهم.

أما الله في رحمته وصره فقد استمر بالتعامل معهم، وذكرهم مرة تلو الأخرى انهم
شعب صلب الرقبة، لم يعد له الحق في بركته وإحسانه، داعياً إياهم إلى التوبة.
وبسبب عنادهم ورفضهم لصوت الرب، تحول هذا العهد الذي كانت غايته
البركة (تثنية ٢٨: ١-١٥)، إلى عهدٍ للّعنة، كما هو مكتوب: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا
يُتُّبُّ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ» (غلاطية ٣: ١٠).
فأتاهم السبي كعقاب طبيعي يستحقونه باعتبارهم مملكة أدارت القفا للرب.
كان المتوقع أنه بعد التأديب القاسي يتوب شعب إسرائيل عن شره وفجوره،
ويهيئ نفسه لاستقبال المسيا الموعود به. لكن مع الأسف كل ذلك التأديب
لم ينفذ هذه الأمة العاصية من جهة قبول المسيا.

أثناء السبي كانت مدينة أورشليم تعاني من المحن، وجدرانها كانت خربة وهيكلها مدمر، ورغم ذلك ظلت بشكل أو بآخر المركز الديني لأهل السبي، وللذين ظلوا في أرض كنعان.

لكن بعد انتهاء السبي والعودة من المنفى، أعاد عزرا ونحميا تدريجيًا بناء المدينة والهيكل رغم معارضة السامريين، ليعود لها دورها السياسي الهام، وتأخذ أورشليم من جديد مكانها على الصعيد الديني، حيث أخذ اليهود يتطلعون إليها من كل جانب، ويصعدون إليها للحج بشكل متكرر في الأعياد الثلاثة الكبرى، ويفرحون جدًا إذ يمكنون فيها، ويتغنون ببيت يهوه، ويسألون لها السلام (مزمور ١٢٢)، ويقولون: «سَبِّحِي يَا أُورُشَلِيمُ الرَّبَّ. سَبِّحِي إِلَهَكِ يَا صِهْيُونُ» (مزمور ١٤٧: ١٢).

لكن هذا السلام لم يدم طويلًا، فالإسكندر الكبير أثناء حملته العسكرية الواسعة، ضمَّ أورشليم إلى المملكة الهلينية. وبعد موته احتلها اللاجئون. ومن بعدهم السلوقي أنطيوخس الثالث، الذي شنَّ الحرب على بَطْلِيمُس مَلِكِ مِصْرَ، فانتصر عليه واستولى على مدنه وسلبها. وبعدما كَسَرَ مِصْرَ صَعَدَ إلى إسرائيل وإلى أورشليم بجيشٍ عَظِيمٍ. ودخل الهيكل ليسلب كل ما فيه من كنوز. وأكثَرَ مِنَ الْقَتْلِ، فكانت مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي كُلِّ أَرْضِ إِسْرَائِيلِ.

«٢٩ وَبَعْدَ سَنَتَيْنِ، أَرْسَلَ الْمَلِكُ (أَنْطِيوْخُس) رَئِيسَ الْجَزِيَّةِ إِلَى مُدُنِ يَهُوذَا، فَوَقَدَ عَلَى أُورُشَلِيمَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ. ٣٠ وَخَاطَبْتَهُمْ خِطَابَ سَلَامٍ مَكْرًا فَوَثِقُوا بِهِ، ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ وَصَرَّتْهَا صَرِيَّةً شَدِيدَةً وَأَهْلَكَ شَعْبًا كَثِيرًا مِنْ إِسْرَائِيلِ. ٣١ وَسَلَبَ عَنَائِمَ الْمَدِينَةِ وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ وَهَدَمَ بُيُوتَهَا وَأَسْوَارَهَا الْمُحِيطَةَ بِهَا. ٣٢ وَسَبَّوْا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ وَاسْتَوَلَوْا عَلَى الْمَتَاشِي» (١ مكابيين ١). وَنَجَّسُوا الْهَيْكَلَ. فَهَرَبَ أَهْلُ أُورُشَلِيمَ مِنْهَا.

وفي زمن يهوذا المكابي تم تحرير أورشليم وترميم الهيكل، وأقيم حول أورشليم أسواراً عاليةً وبروجاً حصينةً.

بعد ذلك وصل القائد الروماني بومبيوس إلى أورشليم فعينه يوليوس قيصر مسؤولاً على أرض كنعان، وجعل له مساعدًا انتيباتر الأدومي. ثم عيّن ابن انتيباتر - هيروُدس الكبير- ملكًا من قبل رومة، الذي بدأ بإعادة بناء الهيكل، ولم ينته هذا العمل الضخم إلا سنة (٦٣ ب. م).

بعد مرور حوالي (١٥٠٠ عام) منذ إعطاء الناموس لشعب إسرائيل، تثبت للجميع أنه لا يمكن لأي إنسان أن يقيم علاقة مع الله مبنية على الناموس، «لأنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ (الذين يتكلمون على العمل بأحكام الناموس) هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ» (غلاطية ٣: ١٠). وما فشل إسرائيل في طاعة الله والحروب والمآسي التي وقعوا فيها إلا تأكيداً لهذا الأمر.

وهكذا كشف الناموس ضعف الناس في طاعة الله، وسلطان الخطية على حياتهم إذ أوقفهم عراة أمام عدالة الله مستحقين للدينونة الأبدية. وثبت للجميع أن الإنسان لا يستطيع أن يرضي الله من خلال القوانين الكثيرة، التي تُظهر عجزه، ولا تمنحه القوة لطاعتها. فصار أشبه بالغريق الذي لا يحتاج لنصائح أو توبيخات ليخرج من مشكلته، بل يحتاج لمنقذ ينزل إليه ويرفعه إلى بر الأمان.

لذلك وجب تغيير هذا العهد بين الله وبين شعبه إسرائيل بسبب عدم منفعته. وهذا ما فعله الله إذ وضع أساساً جديداً للاقتراب إليه، مُقَدِّمًا لهذا الشعب رجاءً أفضل. إنه عهد جديد بخلاف القديم. فبينما عهد الناموس كان مشروطاً بالطاعة نجد هذا العهد الجديد بلا شروط على الإطلاق.

في ملء الزمان جاء المسيح إلى أورشليم، مقدماً لها أوراق اعتماده، التي تضمنت، شهادة المعمدان، وشهادة الملائكة، وعشرات النبوات عنه، وأعمال ومعجزات لم يصنعها غيره، إضافة إلى كمّ كبيرٍ من التعاليم السامية غير المسبوقة، فعرفت فيه ملكها الذي انتظرته طويلاً، والذي عليه رجاؤها، إلا أنها تمردت عليه ورفضته، وأعلنت الحرب عليه مُحْرِقَةً كلَّ أوراق

اعتماده. وإذ أسلمته للرومان، حكموا عليه بالموت، بينما شعبها ينادي:
اصلبه اصلبه.. «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا».

قال فيهم استفانوس: «أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهْدَهُ آبَاؤُكُمْ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا
فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ» (أعمال ٧: ٥٢).
وقال فيهم بطرس الرسول: «١٤ وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكُرْتُمْ الْقُدُوسَ الْبَارِّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ
يُوَهَّبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. ١٥ وَرَبِّيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ» (أعمال ٣). وقال فيهم
بولس الرسول: «الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ
عِزٌّ مُرْضِينَ لِلَّهِ وَأَصْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ» (١ تسالونيكي ٢: ١٥)

عندما جاءهم المسيح بهذا العهد الجديد، باعتبارهم خاصته، فإن خاصته
لم تقبله (يوحنا ١: ١١)، فزلت خاصته، وبزلتهم صار الخلاص متاحاً للأمم.
وهكذا أوقف الله عهده القديم (عهد ناموس) مع شعبه إسرائيل، بل أبطله
«فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَنَّقَ الْأَوَّلَ» (عبرانيين ٨: ١٣). وانفتح بذلك الباب أمام
الجميع (أمماً ويهوداً) للاستفادة من هذا العهد الذي بمقتضاه تشكلت
الكنيسة، والذي ندعوه، عهد النعمة، وسيدوم إلى حين اختطاف الكنيسة.
إن طرفي العهد هما، الله الآب، والله الابن يسوع المسيح، وهو من أجل
خلاص الناس الخطاة الذين يؤمنون بالابن، يهوداً كانوا أم أمميين. وقد حدث
هذا العهد قبل تأسيس العالم، في الأزلية السحيقة (افسس ١: ٣-٦)، لكن
أُعلن بمجيء المسيح الذي صار «ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ» (عبرانيين ٧: ٢٢).

إذاً في هذا العهد ليس للناس أي دور، فهم لم يوافقوا على أية اتفاقية ولا
عُرِضت عليهم بالأصل أية اتفاقية أو شروط. لأنه ماذا يمكن أن يضع الله من
شروط غير التي وضعها في ناموسه والتي عجز الناس عن حفظها، هل سيضع
شروطاً أقل أو سيغيّر من شروطه. إنه مهما فعل فالنتيجة ستكون واحدة،
لن يستطيع الإنسان حفظ العهد. لذلك بعد فشل الإنسان في احترام العهد
الأول، أقام الله عهداً جديداً مع الابن، وهذا العهد ثبتته الابن بدمه، وهو لن
يُخل بشروطه ولن يفشل بتحقيقه على الإطلاق.

أما بالنسبة لنا فكل ما هو مطلوب متاً ليس أن نحفظ شروط العهد، أو نقوم بعمل ما، أو نتعهد أمام الآب بأي شيء، بل أن نقبل فداء المسيح على الصليب. وعندها يغيّر الله طبيعتنا الفاسدة بالولادة الجديدة، معطياً إيانا بالنعمة طبيعة جديدة تكره الخطية وتسر بعمل البر، وتعمل الأعمال المرضية أمامه.

ومن المهم أن نذكر أنه ليس مطلوباً منا أن نفعل أي شيء كي لا نسقط من هذا العهد لأن المسيح هو الذي فعل كل شيء ليبقينا في دائرته إلى الأبد. لذلك لا خوف على المؤمن من الارتداد، أو من الهلاك لأن المسيح وعد أن يحفظه بغض النظر عن إمكانياته.

وهكذا فعل الله كل ما يمكن فعله للدخول في شركة مع الإنسان، آملاً أن يتخلى الجميع عن طرقهم الرديئة، ويتبعوا طريقاً مستقيماً ينقذهم من الدينونة العتيدة. لكن الذي حدث أن الإنسان قرر أن يستمر في طريقه الرديئة، مفضلاً الخطية على القداسة والعفة، متحدّياً الله في كل شيء، فامتلات الأرض من الظلم والموت والدمار، وكل فساد.

أما الرب يسوع المسيح، فقبل موته، تنبأ بالخراب على أورشليم المدينة العاصية التي رفضته كما رفضت من قبله كل الأنبياء والمرسلين إليها قائلاً لتلاميذه: « ٢٠ وَتَمَتَّى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ فَحِينَئِذٍ اَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَقْتَرَبَ خَرَابُهَا. ٢١ حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَفِرُوا خَارِجاً وَالَّذِينَ فِي الْكُورِ فَلَا يَدْخُلُوهَا ٢٢ لِأَنَّ هَذِهِ أَيَّامٌ انْتِقَامٍ لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ.. ٢٤... وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الْأُمَمِ حَتَّى تُكَمَّلَ أَرْزِمَتُهُ الْأُمَمِ (في حكم أورشليم)» (لوقا ٢١).

ما تنبأ به الرب يسوع المسيح تمّ حوالي سنة (٧٠ م)، عندما جاء تيطس الروماني وحاصر أورشليم، ثم اقتحمها وأحرق هيكلها، وأعمل السيف في سكانها. فَجَرَّتْ الدِّمَاءُ فِي الشُّوَارِعِ، وَعُلِّقَتْ عَلَى الْجُسُورِ وَالطَّرِيقَاتِ آلَافٌ

الصلبان، حتى بدت كأنها غابة. وعلى كلِّ صليبٍ تعلقت ضحية، وسيطرت الوحشية على المدينة، حتى أنّ الذين نجوا، هربوا وتشتتوا إلى جميع أنحاء العالم. ومنذ ذلك الوقت صارت فلسطين مقاطعة رومانية، يحكمها والٍ يقيم في قيصرية.

وفي سنة (١٣٢ م) اندلعت ثورة يهودية جديدة على أثر أمر الإمبراطور هدرينس بتحويل أورشليم إلى مستوطنة رومانية، وبعد معركة قاسية، أخذت المدينة ونقذ الإمبراطور وعده، وأعطى اسماً جديداً لأورشليم، فصارت أورشليم تدعى (إيليا كاييتولونيا)، وعلى موقع الهيكل المدمر رفع الإمبراطور هيكلًا لجوبيتر الكابيتوليني، ومُنع اليهود من المجيء إلى أورشليم تحت طائلة الموت.

ومنذ ذلك الحين تبعر اليهود في كل ممالك الأرض، ولم يبق لهم موطن، ولا هيكل، ولا رئيس تميمًا للنبوّة: «لأنّ بني إسرائيل سيَقْعُدُونَ أَيَّامًا كَثِيرَةً بِإِلا مَلِكٍ وَبِإِلا رَيْسٍ وَبِإِلا ذَبِيحَةٍ وَبِإِلا تَمَثَالٍ وَبِإِلا أَفُودٍ وَتَرَافِيمٍ» (هوشع ٣: ٤). وأصبحوا مضطهدين مكروهين مرتبكين في عيشتهم لا قرار لأرجلهم.

صحيح أن إسرائيل لم تعد أمة مستقلة منذ سقوطها بيد البابليين عام (٥٨٦ ق. م) لكن الرب يقول: إن هذه السيادة للأمم ستستمر على إسرائيل حتى يضع الله حدًا لها.

وهكذا أضاعت أورشليم بعضيائها أعظم الفرص، بل الفرصة الأخيرة لتكون مدينة المجد، مدينة الملك العظيم. لقد أحبها يهوه وتودد إليها ولكنها كانت دائماً وأبداً تخون الأمانة والمودة. وكان تعبير المسيح لها، بقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، سيرة ممتدة، حملتها أورشليم على مدى التاريخ. وقد اختصت هذه المدينة العاصية دون كافة المدائن بالنصيب الأوفر في سفك دماء الأنبياء حتى قال المسيح فيها: «لأنه لا يُمكن أن يهلك نبيٌّ خارجاً عن أورشليم» (لوقا ١٣: ٣٣)، فكانت هذه الكلمات شهادة عن التاريخ الدموي لمدينة أورشليم.

قال الرب قديماً لشعبه «بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقِ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ» (إشعيا ٦٥: ٢)، وبعد مئات السنين كرر كلماته بشكل آخر قائلاً: «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا» (لوقا ١٣: ٣٤).

كان المسيح جاداً في حمايتها من أعدائها، ومن الرومان أيضاً، إن قبلته. أراد أن يثبت فيها روح السلام لتصبح مسؤولة عن سلامة روما والعالم كله. فهي وإن كانت قد وقعت فريسة الأسد الروماني الذي عرّاه من مجدها وخربها وتركها خاوية تنعي تاريخ مجدها، لكن الفرصة كانت قائمة لردها إلى سابق مجدها. أما هي فأضاعت الفرصة إذ قتلت رئيس السلام. {والآن ماذا يتبقى لها إلا الحديد والنار. رفضت السلام بيد الله فشربت كأس النعمة حتى النهاية. ثلاث سنوات وأكثر وهو يتودّد لها ليسقيها كأس المصالحة، ويرفع رأسها وسط الشعوب لتصبح مدينة السلام بالحق، كاسمها، ولكنها عوض أن تقبل من يده خلاصاً سفكت دمه على الأرض ظلماً وهواناً^١، فنالت ما استحقت جزاء شرّها، «هُودَا بَيْنُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً».

١ - الأب متى المسكين، شرح إنجيل لوقا، إصحاح ١٣.

الفصل التاسع

التحدي السابع، والضيقة العظيمة.

بعد أن تَبَّت فشل الإنسان في حفظ وصايا الله من خلال الناموس، ألقى الله الناموس، مستبدلاً إِيَّاه بالنعمة، وكان هذا نظاماً جديداً يجعل الإنسان صالحاً وقادراً أن يعيش حياةً فضلى ليس بقوته بل بنعمة الله، لكن الإنسان رفض أيضاً هذا النظام الإلهي، مستبدلاً إِيَّاه بنظام من اختراعه، هو النظام العالمي (global system)، الذي يختلف عن عالم الله، ويتميز بأنه عالم رقمي، غايته السيطرة على كل أمور الحياة.

في هذا النظام، يُعطى لكل شيء رقم، يتضمن كل المعلومات الخاصة به. وبغياب الرقم يصير الشيء مجهولاً. فإذا تحدثنا عن البشر فنجد أن لكل إنسان في كل دولة رقم يُعرف به، فإذا احتاجت الدولة لأي معلومات يكفي أن يوضع الرقم على الكمبيوتر ليُخرج كل معلوماته الشخصية، وهذه المعلومات تكون أكثر شمولية في العالم الغربي منها في دول العالم الثالث، حيث هناك تقنية المعلومات، وتطور أجهزة الكمبيوتر، أسرع من دول العالم الثالث.

وهكذا في كل الأشياء، إذا أردت أن تشتري، أو تبيع، أو تسافر، تحتاج أن تدخل العالم الرقمي، فالشارع له رقم، والمدينة لها رقم، والطيارة لها رقم، والبنك له رقم، والسوق التجاري له رقم، والمعاملات الرسمية لها أرقام، كل شيء يخضع للأرقام. إنه العالم الجديد الذي اخترعه الإنسان ليتحدى به الله أخلاقياً، بل ليتحكم بعالم الله! فكل تحركاتنا ضمن عالمنا الواقعي لا تتم إلا من خلال الكمبيوتر الذي يدخلنا إلى العالم الرقمي. فإذا أردت أن تدخل المشفى للعلاج، أو أردت أن تمتلك سيارة، أو منزلاً، أو أن تتزوج، أو أن يكون لك جنسية جديدة، أو أن تعزف على الأورغ، أو أردت كجندي أن تطلق صاروخاً، أو تحرك جيشاً، لن يتم لك ذلك إلا من خلال العالم الرقمي.

يُخبرنا الكتاب المقدس إنه في الأيام الأخيرة تسود العبودية التامة في كل شيء. فلا حرية في العبادة، ولا حرية في العمل، ولا حرية في التجارة، ولتحقيق هذا الأمر تكون على جباه الجميع، أو على يدهم اليمنى سمة (علامة) الوحش^١ التي تجعلهم عبيداً له. فلا يستطيع أحد أن يقاوم إرادته أو يرفض سمته إلا الذين يضحون بحياتهم في سبيل الأمانة للرب» ١٦ وَيَجْعَلُ الْجَمِيعَ: الصَّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالْأَخْرَارَ وَالْعَبِيدَ، تُصْنَعُ لَهُمْ سِمَةٌ عَلَى يَدِهِمِ الْيُمْنَى أَوْ عَلَى جِبْهَتِهِمْ، ١٧ وَأَنْ لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ إِلَّا مَنْ لَهُ السِّمَةُ أَوْ اسْمُ الْوَحْشِ أَوْ عَدَدُ اسْمِهِ (الرقم الذي يرمز لاسمه). ١٨ هُنَا الْحِكْمَةُ! مَنْ لَهُ فَهْمٌ فَلْيَحْسِبْ عَدَدَ الْوَحْشِ فَإِنَّهُ عَدَدُ إِنْسَانٍ، وَعَدَدُهُ: سِتُّ مِئَةٍ وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ» (رؤيا ١٣)

لو حاولنا أن نخمن ما هي هذه السمة التي توضع على اليد اليمنى^٢ أو الجبهة، لوجدنا أن النص يُقرنها باسم الوحش وعدد اسمه. ويكرر كلمة عدد ثلاث مرات. ولأن العدد هو رقم (٦٦٦)، على الأرجح، هذا يعني، أن الأيام الأخيرة سيكون فيها نظام رقمي عالمي يسيطر على كل الناس، ويخضع له الجميع. وكل من يقبل أن يُوسم بهذه السمة يُظهر خضوعه للوحش ويبيدي استعداده للعمل داخل هذا النظام الرقمي الذي يقف الشيطان وراءه.

فإن صح توقعنا، ألا يعني هذا أننا في الأيام التي ندعوها الأخيرة، حيث يتواصل البشر الآن مع بعضهم من خلال الإنترنت (Cyber-Systems)، الذي هو عالم رقمي. فمن أبسط الأمور إلى أعقدها، العالم الرقمي يسيطر على كل

^١ - رأس الإمبراطورية الرومانية العائدة للحياة.

^٢ - تتجه شركة (أمازون) عما قريب، إلى إحداث ثورة تقنية في نظام الدفع، حيث ستتيح للزبائن أن يدفعوا في متاجرها دون الحاجة إلى استخدام البطاقة المصرفية التقليدية، أو الموبايل، أو النقود. كل ما في الأمر أنه سيتم التعرف على المستهلك من خلال يده. ويفضل هذا النظام، سيكون المستهلك قادراً على دخول المتجر من خلال عرض يده أمام ماسح ذكي، وإذا اشترى شيئاً فإنه سيدفع أيضاً باستخدام طريقة مسح اليد، حيث يتعرف النظام الذكي على المستهلك من خلال الشرايين والخطوط الموجودة في راحة يده، ثم يقوم بتصوير بيانات اليد، ويربطها بالمعلومات البنكية المسجلة، لتتم الصفقة في ثوانٍ قليلة.

شيء، لدرجة أننا الآن لو فكرنا بترك هذا العالم الرقمي سنُدخل البشرية جمعاء في دوامة الفوضى. ما يعني أن الرجوع إلى عالم الله أصبح مستحيلًا! إننا مستعبدون، لا نقدر أن نبيع، أو نشترى، أو نعيش بدون عالم الأعداد، العالم الرقمي!

وكمثال على ذلك، الموبايل الذي تحمله في جيبك أو الكمبيوتر الذي تضعه في مكتبك! هل سألت نفسك، كيف تستعبدني هذه الأشياء؟ الجواب بكل بساطة، إنها تجعلك مكشوفاً وتحت السيطرة.

لنفرض مثلاً أنك فتحت جهاز الكمبيوتر الخاص بك الذي يعمل بنظام windows، واتصلت عن طريق الراوتر الذي وصلك بشركة الاتصالات المحلية في بلدك. ثم فتحت إنترنت إكسبلورر وكتبت فيه العنوان التالي: <http://www.###.com>. فما الذي يحدث؟ إليك بعضه.

١- تُسجل شركة الخدمة (الاتصالات المحلية في بلدك) جميع تفاصيل الخدمة من حيث المعلومة، والبيانات التي تُدخلها أنت، والبيانات التي تصلك من الطرف الآخر بكل تفاصيلها بالساعة والدقيقة والثانية.

٢- يقوم جهاز الكمبيوتر الذي يستضيف الموقع الذي طلبته، وكذلك جميع الأجهزة الوسيطة (أقله أربع أجهزة لا تعرفها أنت) بتسجيل جميع تفاصيل المبادلة.

٣- لأن الموقع الذي طلبته يسعى لتحسين ترتيبه وتصنيفه عالمياً من حيث عدد الزوار، يرسل نسخة من تفاصيل الاتصال إلى محركات البحث الكبرى مثل (Bing، Yahoo، google..) وغيرها، والتي بدورها تشارك هذه المعلومات مع شركات الدعاية ومواقع التواصل الاجتماعي، إلخ.

٤- عندما تُدخل على Hotmail مثلاً لتكتب بريد إلكتروني، فإن نسخة من هذا البريد تُحفظ ليس في جهازك المرسل والمستقبل فقط، وإنما تُحفظ نُسخ في عدد كبير من السجلات التابعة للهوتميل، وعدد غير محدود من

الأجهزة الوسيطة. وإن حاولت حذف الرسالة من حسابك ومن جهازك يبقى نسخة منها عند هواتفك لا يمكن حذفها.

٥- إذا دخلت على الفيس بوك، أو تويتر، وكتبت (تعليق، أو مشاركة، أو إعجاب). فكل هذا يُسجل ويخزن في سجلات في أماكن مختلفة حول العالم تابعة لفيسبوك وغيرها. وحتى لو حذفت (التعليق، أو المشاركة، أو الإعجاب)، فكل هذا يُسجل، ولا يحذف إلا بعد عدة سنوات.

٦- كل برنامج للتصفح يُرسل ملفات تعريف الارتباط أو ما يسمى أيضا (Cookies) إلى الكمبيوتر، هذه الـ (Cookies) تُعطي معلومات حول الصفحات التي تم زيارتها، والعديد من المواقع التي نزورها. تُترك هذه الـ (Cookies) في أجهزة الكمبيوتر، وعند زيارتنا لهذه الصفحة مرة أخرى يتعرف الموقع علينا وعلى الأوقات التي زرنا فيها هذا الموقع. وهذا يعني أن المتصفح يعرف خياراتك ورغباتك!

٧- أما المعلومة الأساسية والتي لا مفر منها فهي معرفة البلد/المدينة التي تقيم فيها وقت الاستخدام، ورقم (IP address) للجهاز الذي تتصل منه. الذي هو بمثابة «الرقم القومي» العالمي الذي يحدد بدقة فريدة جهازك المُستخدم بين جميع الأجهزة في العالم.

بالإضافة إلى ذلك فإن محركات البحث تقوم بتحليل سلوكك على الإنترنت وتُكوّن تصور عن شخصيتك. فلو كنت مثلاً تُكثر من تصفح المواقع السياسية فستجد أن فيسبوك بمرور الوقت يُكثر من الإعلانات في هذا الاتجاه. بينما لو كنت من هواة جمع الطوابع فستجد أنه تصلك إعلانات أكثر عن إصدارات الطوابع التذكارية، وهكذا.

ولجمع مزيد من المعلومات عن سلوك المتصفحين تُستخدم العديد من المواقع برنامج «Google Analytics»، الذي ينقل كل البيانات التي حصل عليها إلى شركة غوغل أيضا. وبالتالي فإن شركة غوغل تحصل على العديد من المعلومات من مصادر مختلفة ويُمكنها أن تضع لكل مستخدم ملفا خاصاً به.

أما المعلومات التي تجمعها شبكات التواصل الاجتماعي عنك فهي لا تُعدّ ولا تُحصى، ليس فقط لأنك تُدير ملف التعريف الخاص بك، أو لأنك تتواصل مع آخرين عبر هذه الشبكة، ولكن لأن حساب المستخدم في شبكات التواصل الاجتماعي يظل مفتوحاً طيلة الوقت، رغم أنه يتصفح مواقع أخرى. وإذا ضغطت مستخدم الفيس بوك مثلاً على زر «أعجبني» فإن كل المعلومات المتواجدة في (Cookies) (ملفات تعريف الارتباط) تنتقل مباشرة إلى الفيس بوك، وبهذه الطريقة يحصل الفيس بوك هو الآخر على معلومات عن الصفحات التي تزورها على شبكة الإنترنت.

فأنت على النت في كل ضغطة زر على لوحة المفاتيح، أو الماوس تترك بصماتك، وتكوّن (ملف شخصي) كامل عن شخصيتك وعن نشاطك، يمكن أن يُستخدم في وقت اللزوم ضدك.

وحتى لو أجريت الاتصال عبر نفق «VPN» أي (Virtual Private Network Tunnel) فلن تستطيع أن تضلل شركات النت التي تسيطر على الاتصالات. فشركة فيسبوك مثلاً (كإجراء أمان) ستغلق حسابك تلقائياً عندما تكتشف محاولة الدخول للحساب من بلد غير البلد الطبيعي. وستثير الشكوك حول نفسك في انك تعمل عملاً غير مشروع. إضافة إلى أن برنامج Explorer و Windows يقومان بتسجيل كل نشاطك في history و cache و system logs ، وفي ملفات أخرى مخفية عنك، تتضمن كل المواقع والصفحات التي زرتها والنشاط الذي قمت به عليها. كل شيء بالتاريخ والساعة والدقيقة والثانية. فشركات مايكروسفت وآبل وغوغل وغيرها، ملزمة استخباراتياً بإيجاد حسابات سرية في برامجها، ويعتبر توفير هذا المنفذ للتجسس عليك شرط أساسي للسماح لتلك الشركات ببيع منتجاتها. كما أن قيام برامج التصفح (Explorer مثلاً) بتسجيل نشاطك وتخزينه في أماكن سرية في جهازك أو إرساله لمواقع مراقبة خارج جهازك، مسائل مفروغ منها وتعتبر من بديهيات الإنترنت!!!

ومن أجل التعرف على هوية المُستخدم يتم حالياً استخدام برنامج جديد اسمه «Fingerprinting». يعتمد هذا البرنامج على لغة برمجة «جافا سكريبت» (javascript) التي تُخزّن معلومات برنامج التصفح في الخادم على شكل بصمات، أي كمبيوتر الصفحة التي زارها المُستخدم وليس جهاز الكمبيوتر الشخصي. ولا يمكن للشخص أن يُزيل تلك البصمات لأنها غير موجودة على جهازه الخاص، عكس (Cookies) (ملفات تعريف الارتباط) التي توجد في ملف الحاسوب الشخصي، ويمكن إزالتها متى نريد.

في وقتنا هذا، من النادر أن تجد شخصاً لا يملك موبايل، ولديه صفحة على الفيس بوك، وهذا يعني بشكل بسيط أن شركة فيس بوك تعرف مكانك بل كل تحركاتك. وتعرف أيضاً من هو صديقك المفضل، ومن خلال تعليقاتك أو كتاباتك تعرف مشاعرك وتعرف شخصيتك. أما دخولك إلى غوغل فيعطي الشركة إمكانية لمعرفة رغباتك، وهذا ما تراه عندما تحاول مرة ثانية أن تدخل إلى موقع غوغل للبحث فُتُفاجأ بأن الشركة تعطيك الخيارات التي تنسجم مع رغباتك. فالموبايل باختصار هو صلة الوصل بينك وبين العالم الرقمي، لذلك كل شيء عنك معروف لديهم.

وكمثال على ذلك ما حدث في شهر يونيو من عام ٢٠١٣، عندما سرب إدوارد جوزيف سنودن^١، مستندات تصف (PRISM) بأنه برنامج يتيح مراقبة معمقة للاتصالات الحية والمعلومات المخزنة. وبإمكانه التجسس على أي

^١ - التحق في عام (٢٠٠٥) بوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) كخبير في أمن المعلومات. أرسلته الوكالة عام (٢٠٠٧) إلى الممثلية الدبلوماسية للولايات المتحدة بمدينة جنيف في سويسرا، حيث تعرّف في جنيف على أبعاد عمل وكالات الاستخبارات والتجسس، وأطلع على عدد هائل من الوثائق بالغة السرية. في عام (٢٠٠٩)، غادر CIA ، ليعمل تقني معلومات في مكتب وكالة الأمن القومي الأمريكي (NSA) بقاعدة عسكرية في اليابان، وانتقل عام (٢٠١٠) إلى وظيفة مسؤول برامج بمكتب الوكالة نفسها في جزيرة هاواي. خلال عمله مع وكالة الأمن القومي استطاع سنودن الاطلاع على عديد من الوثائق شديدة السرية، خصوصاً برنامج (PRISM) - برنامج تجسس رقمي، مصنف بأنه سري للغاية- ويُشغل من قبل وكالة الأمن القومي الأمريكية (NSA) منذ عام (٢٠٠٧) واسمه الرسمي US-984XN. وفي يونيو (٢٠١٣) سرب تفاصيل هذا البرنامج إلى صحفيي الغارديان البريطانية و واشنطن بوست الأمريكية.

مستخدم لأي شركة منخرطة في برنامج (PRISM) في حال كان هذا المستخدم يسكن خارج الولايات المتحدة، أو كان مواطناً أمريكياً له اتصالات تتضمن محتويات Web (شبكة) خاصة بأشخاص خارج الولايات المتحدة.

وقد مكن هذا البرنامج وكالة الاستخبارات الأمريكية من اختراق الرسائل الإلكترونية، والأحاديث الإلكترونية (CHAT)، والمكالمات الصوتية، وغيرها من الوثائق لأشخاص في الخارج وفي الداخل الأمريكي.

كشفت الوثائق المسربة من قبل سنودن أن وكالة الأمن القومي الأمريكية، كانت قادرة على الدخول مباشرة إلى الخوادم الخاصة لكل من مزودي الخدمات الأمريكية: YouTube, Microsoft, Yahoo, Google, Apple, Facebook, Skype, AOL, Paltalk. فتمكنت بذلك من التجسس على الاتصالات الهاتفية لعشرات ملايين الأميركيين من حاملي خطوط شركة Verizon للاتصالات. وقد بينت التسريبات أنه تم وضع السياسيين أيضاً تحت المراقبة، ومن بينهم المستشار الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيس البرازيل ديلما روسيف. من أجل هذا يجب على كل شخص أن يعرف بأن الدخول إلى الإنترنت ليس مُلكاً شخصياً، وإنما بإمكان آخرين التطلع على ما نتصفحه في أي وقت. وهذا يعني بأبسط العبارات، أن حريتك ليست مصانة في هذا العالم الرقمي، أنت تحت الرقابة والسيطرة، أنت مستعبد!

❖ كيف نشأ مصطلح العالم الجديد، وما هي غايته؟



يوجد على الدولار صورة لهرم مكون من ثلاثة عشر طبقة، يعلوها عين مفتوحة، يقول البعض إن هذه العين مأخوذة من الكتاب المقدس، حيث تقول الحية لحواء: إن أكلتم من شجرة معرفة الخير والشر، «تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمْمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (تكوين ٣: ٥). إنه طموح الإنسان أن تفتح عيناه ليصنع عالماً

جديداً غير عالم الله. عالم يختبر فيه الخير والشر، وله نظام غير نظام الله، مكتوب اسمه تحت الهرم على ورقة الدولار باللغة اللاتينية:

«Novus Ordo Seclorum»، وهو مصطلح ذكره الرومان للمرة الأولى، ويترجم بـ (النظام العالمي الجديد). وقد ذُكر هذا المصطلح في العديد من خطابات الرؤساء، مثل: جورج بوش الأب، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٨٩-١٩٩٣). وميخائيل غورباتشوف، الذي شغل منصب رئيس الدولة في الاتحاد السوفييتي السابق بين عامي (١٩٨٨ - ١٩٩١). وغوردون براون، رئيس وزراء المملكة المتحدة (٢٠٠٧ - ٢٠١٠). ونيكولا ساركوزي، رئيس الجمهورية الفرنسية (٢٠٠٧ - ٢٠١٢). ويوحنا بولس الثاني، بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المائتين (١٩٧٨ - ٢٠٠٥). وبنديكت السادس عشر، أو البابا بندكتوس السادس عشر، بابا الكنيسة الكاثوليكية الخامس والستون بعد المئتين (٢٠٠٥-٢٠١٣)، وكثيرين آخرين.

إن (النظام العالمي الجديد) ليس مجرد مصطلح، بل هو الكلمة المفتاح التي تخفي وراءها عالماً كاملاً غامضاً. وحسب رؤية الذين تكلموا عنه، هو نظام يُعتبر العالم قرية واحدة، يحكمها نظام رشيد يحاول أن يضمن الاستقرار والعدل للجميع بما في ذلك المجتمعات الصغيرة ويضمن حقوق الإنسان للأفراد.

ظهر هذا المصطلح بقوة أثناء حرب الخليج الثانية، ليعبر عن حقبة جديدة في النظام الدولي^١ لها سماتها وخصائصها المميزة، والتي بشر بها البعض على أنها نهاية التاريخ. ولفهم هذا المصطلح -النظام العالمي الجديد- لا بد من إلقاء نظرة سريعة على تطور النظام الدولي الذي مرّ بأربعة مراحل إلى الآن.

❖ وستفاليا^٢ (Westphalia) سنة (١٦٤٨م) التي أنهت الحروب الدينية،

١ - يقصد بالنظام الدولي، مجموعة الوحدات السياسية - سواء على مستوى الدولة أو ما هو أصغر أو أكبر - التي تتفاعل فيما بينها بصورة منتظمة ومتكررة لتصل إلى مرحلة الاعتماد المتبادل فيما بينها.

٢ - صلح وستفاليا (Peace of Westphalia)، هو اسم عام يطلق على معاهدتي السلام اللتين دارت المفاوضات بشأنهما في مدينتي أسنابروك ومونستر في وستفاليا وتم التوقيع عليهما في ١٥ مايو ١٦٤٨ و ٢٤ أكتوبر ١٦٤٨ وكتبتا باللغة الفرنسية.

وأقامت النظام الدولي الحديث المبني على تعدد الدول القومية واستقلالها، كما أخذت بفكرة توازن القوى كوسيلة لتحقيق السلام، وأعطت أهمية للبعثات الدبلوماسية، وكانت أوروبا تمثل مركز الثقل في هذا النظام. انتهت هذه المرحلة بنهاية الحرب العالمية الأولى.

❖ **المرحلة الثانية (١٩١٤ - ١٩٤٥).** تبدأ هذه المرحلة من الحرب العالمية الأولى، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد تميزت هذه المرحلة بزوال أربع إمبراطوريات، كما تحولت بعض الدول الأوروبية إلى جمهوريات، وتحول بعضها لديكتاتوريات. وشجّع حق تقرير المصير على ظهور قوميات جديدة طالبت بالاستقلال. وظهرت اليابان وروسيا كدولتين عظميين. وكذلك ظهرت الولايات المتحدة كدولة ذات نفوذ بسبب سياستها الاقتصادية الناجحة، وقصة هذا النجاح مرتبطة ب (Wall Street) ^١.

شهد (Wall Street) العديد من الأحداث المهمة في تاريخه لكن أهمها كان الكساد الكبير عام (١٩٢٩م) عندما انهار مؤشر (DJI) ^٢ الصناعي، وبورصة نيويورك، متسبباً في دخول الاقتصاد الأمريكي إلى أعظم كساد في تاريخه بعد انتعاش اقتصادي. فما كان من الولايات المتحدة للخروج من هذا الوضع المتأزم إلا أن باعت سلاحها إلى جميع حلفائها بالذهب. وبحلول عام (١٩٤٥) أصبح (٨٠٪) من ذهب العالم مكديساً في خزائن الولايات المتحدة ليصبح الدولار الأمريكي بسبب الذهب، العملة الاحتياطية الرئيسية في كل العالم. وهذا ما جعل كل الدول تُكديس احتياطياتها بالدولار أكثر من أي شيء آخر، حتى صار (٦٦٪) من إجمالي الثروة في العالم بالدولار الأمريكي. وكانت

^١ - (وول ستريت) أو شارع المال، أحد شوارع مانهاتن السفلى، في مدينة نيويورك، في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الوقت الحالي فإن (وول ستريت) تعدّ الواجهة الرئيسية للسوق الأمريكية حيث توجد فيه بورصة نيويورك والكثير من الشركات المالية الأمريكية الضخمة.

^٢ - مؤشر (الداو جونز) أو (داو ٣٠) هو مؤشر صناعي لأكثر من ٣٠ شركة صناعية أمريكية في بورصة نيويورك أنشئ في ٢٦ مايو ١٨٩٦. وهو أقدم مؤشر في العالم.

نتيجة هذه الخطة أن الولايات المتحدة طبعت جبلاً من الدولارات بدون غطاء من الذهب، واستوردت كميات متزايدة من السلع الأساسية، ومولت الكثير من المشاريع، وذلك كله بالمجان!

اتسمت هذه المرحلة بالأزمات التي أدت إلى عدم التفاهم بين الدول، ومن ثم نشوب الحرب العالمية الثانية.

❖ **المرحلة الثالثة (١٩٤٥ - ١٩٨٩ م).** نشأت مع الحرب العالمية الثانية، وامتدت حتى عام (١٩٨٩ م) والتي وُصفت بأنها مرحلة (الحرب الباردة)، واتسمت بالثنائية القطبية Bipolarity حيث شهدت هذه المرحلة صعوداً سريعاً لقوتين كبيرتين متنافستين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. وكانت القنبلتان الذريتان اللتان ألقتهما الولايات المتحدة الأمريكية على (هيروشيما و نجازاكي) في شهر أغسطس عام (١٩٤٥ م) إيذاناً ببدء عصر، فيه لأمريكا الكلمة الفصل، سواء كان ذلك على الصعيد العسكري، أم السياسي، أم الاقتصادي.

❖ **المرحلة الرابعة (١٩٨٩) حتى الآن.** تبدأ هذه المرحلة بانحيار الاتحاد السوفيتي وحتى الآن، ويطلق عليها (النظام الدولي الجديد). وتعود بدايات شيوع هذا المفهوم إلى حرب الخليج الثانية (١٩٩٠) حيث بدأت الدعاية الأمريكية بالترويج لهذا المفهوم، الذي ظهر لأول مرة عند إعلان الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) الأب، من على منصة قاعة اجتماع الهيئة التشريعية لمجلس النواب الأمريكي في (١٧ يناير ١٩٩١)، بداية النظام العالمي الجديد (New World Order).

هذا النظام ظاهرياً هو نظامٌ متحرراً من الإرهاب، فعالٌ في البحث عن العدل، وأكثر أمناً في طلب السلام. تتوحد فيه مختلف الأمم على مبدأ مشترك يهدف إلى تحقيق طموح البشرية في أن تنعم بالرخاء، وتعيش في تناغم وحرية. لكن فعلياً هو نظام القطب الواحد. حيث تهيمن الولايات المتحدة بواسطته

على النظام الدولي من الناحية السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، وتنفرد بقيادة العالم، والتصرف فيه بصورة فردية دون حاجة للحلفاء.

ومنذ الإعلان عن هذا النظام، قامت أمريكا على المستوى السياسي بدور المنظم للمجتمع الدولي، ليرaud الكثيرين في العالم الأمل بانتهاء الحروب، والاتجاه بخطوات ثابتة نحو السلام العالمي. ولكن مع أحداث (١١ / سبتمبر) تحول العالم من جديد نحو الاستقطاب، ولكن هذه المرة بثنائية جديدة تتمثل في المواجهة بين الولايات المتحدة من جهة، وقوى الإرهاب، ودول وصفتها أميركا بالدول المارقة التي تشكل ملاذاً للإرهاب، من جهة ثانية.

وعلى المستوى العسكري استندت الولايات المتحدة في فرض زعامتها على العالم، إلى قوتها العسكرية والنووية الكبيرة، مما أدى إلى انفرادها بالقرارات العسكرية دون الالتزام بالشرعية الدولية بحكم قوتها الاقتصادية، والعلمية، والعسكرية في مجال الاستخبارات، والتجسس الإلكتروني، والمراقبة بواسطة الأقمار الاصطناعية، والعدة الحربية المتطورة من سفن، وطائرات، وصواريخ، وما شابه.

وعلى المستوى الثقافي هيمنت الولايات المتحدة بثقافتها الغربية على الصعيد العالمي دون منازع، بسبب سيطرتها على كل وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي (social media).

وعلى المستوى الاقتصادي، رغم تصاعد حدة الأزمة المالية العالمية فيمكن القول إن النظام الحالي مازال مرهوناً للاقتصاد الأمريكي، والدولار الأمريكي، الذي يأخذ قوته من النفط (Petrodollar).

في عام (١٩٧١م) حاولت عدة بلدان في آن واحد بيع جزء صغير من دولاراتها إلى الولايات المتحدة مقابل الذهب، لكن الحكومة الأمريكية لم تستطع السداد، أو رفضت السداد، وكنتيجة لذلك قامت بتعويم الدولار، أي قطعت الصلة بينه وبين الذهب، لتعلن بشكل مبطن إفلاسها! وتبدأ رحلة البحث عن بديل الذهب ليبقى الدولار العملة الرئيسة العالمية، فكان البديل هو النفط!

استطاعت الولايات المتحدة بنفوذها أن تُقنع منظمة البلدان المصدرة للنفط (Opec) ببيع النفط مقابل الدولار فقط. ليسيّط الدولار من جديد على الاقتصاد العالمي بشكل كامل، حيث أصبح يشكل أكثر من أربعة أخماس معاملات النقد الأجنبي في العالم، ونصف جميع صادرات العالم الآن تُقوّم بالدولار. وبالإضافة إلى ذلك، كل قروض صندوق النقد الدولي مقومة بالدولار. فالدولار الأمريكي الآن هو العملة الاحتياطية العالمية في تجارة النفط، وغيرها، والطلب عليه متزايد. وهذا ما يُمكن الولايات المتحدة من الاستمرار في طباعة الدولار مقابل لا شيء^١ لتمويل زيادة الإنفاق العسكري والإنفاق الاستهلاكي على الواردات. ولا يوجد أي طريقة للحد من كمية الدولارات التي يمكن أن تكون مطبوعة، ما دامت الولايات المتحدة لا يوجد لها منافسون جادون، وما دام هنالك دول غنية مازالت على ثقة في الدولار^٢.

وعلى المستوى العلمي تُعد الولايات المتحدة رائدة في مجال البحث العلمي والابتكار التكنولوجي منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث حصل (٣٥٣) أمريكي على جائزة نوبل في مختلف المجالات، و(٣١٧) جائزة في المجالات العلمية والطبية. وتقود الولايات المتحدة العالم من حيث عدد أوراق البحث العلمي. ويملك الأمريكيون مستويات عالية من السلع الاستهلاكية التكنولوجية، كما أن نصف الأسر الأمريكية لديها إمكانية الاتصال بالإنترنت عبر حزم الاتصال عريضة النطاق. كما وتعد الولايات المتحدة البلد الرئيسي لتطوير مزارع الأغذية المعدلة وراثياً، حيث يقع فيها أكثر من نصف أراضي العالم المزروعة بالمحاصيل المعدلة وراثياً.

كما يوجد في الولايات المتحدة العديد من المعاهد الخاصة والعامّة ومؤسسات التعليم العالي، وكذلك كليات محلية ذات سياسات قبول

١- تتكلف الحكومة الأمريكية ٦,٤ سنت كتكلفة لطباعة كل ورقة من الدولار

٢- ما هي قيمة الدولار الأمريكي؟ منذ عام ١٩٧٣ لا يحمل الدولار الأمريكي قيمة محددة!! فلا يمكنك مقايضة الدولار الأمريكي بالذهب أو الفضة عند الحكومة الأمريكية. تعتمد قيمة الدولار الأمريكي على مرسوم رسمي من الحكومة بقيمة الدين العام.

مفتوحة. وقد ساعدت الأبحاث القوية الممولة من قبل الحكومة في أن تتصدر الكليات، والجامعات الأمريكية أهم جامعات العالم المرموقة. ووفقاً لتصنيف جامعة (Shanghai Jiao Tong University) التي هي إحدى الجامعات البحثية الحكومية في جمهورية الصين الشعبية، وهي التي تصدر التصنيف الأكاديمي العالمي للجامعات، تتواجد (٣٠) من أصل أفضل (٤٥) جامعة وكلية في الولايات المتحدة.

هذا النظام العالمي الجديد الذي نعيشه الآن، والذي تتزعمه ظاهرياً الولايات المتحدة الأمريكية، يتكون فعلياً من عدة دوائر نفوذ، حيث تُعتبر الشركات عابرة القوميات^١ أحد أبرز دوائر النفوذ التي تتحكم فيه وتعمل عليه. وهذا يعني أن الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات التي تتجاوز ميزانية الواحدة منها ميزانية عدة دول، ويفوق عدد موظفيها مواطني عدة بلدات وقرى، وتسيطر على ثلث أصول الإنتاج في القطاع الخاص على مستوى العالم، ولها الكلمة الفصل في تحريك رأس المال وإنعاش الاقتصاد ومفاتيح التشغيل والتوظيف، هي التي تقوم حقيقة بالتحكم في سياسات الدول الكبرى وتؤثر فيها ومن ضمنها الولايات المتحدة الأمريكية. والأمثلة عليها كثيرة: من (Apple) في أمريكا التي يفوق رأس مالها الناتج المحلي لثلاثي دول العالم، والتي بلغت عائداتها حسب ويكيبيديا عام (٢٠١٧) نحو (٢٢٩) مليار دولار. إلى أخطبوط مبيعات التجزئة في العالم (Wal-Mart) والتي قدرت إيراداتها السنوية (٢٠١٨م) بنحو نصف ترليون دولار، وبلغ عدد موظفيها في عام (٢٠١٦م) (٢٣٠٠٠٠٠) موظف. إلى شركة (Exxon Mobil) التي توظف بحسب ويكيبيديا أكثر من (٨٢٠٠٠) شخص في جميع أنحاء العالم، وبلغت إيراداتها في (٢٠١٨) نحو (٢٧٩) مليار دولار. إلى (Royal Dutch Shell)،

^١ - يطلق هذا المصطلح ومرادفه "الشركات متعددة الجنسيات" على الشركات الكبرى التي تمتلك فروعاً داخل أكثر من عشرين دولة. ويعتبر العصر الحالي هو عصر هذه الشركات. وهي التي تتحكم في سياسات الدول ومن بينها الولايات المتحدة.

التي بلغت عائداتها بحسب ويكيبيديا عام (٢٠١٨) (٣٨٨) مليار دولار. إلى (Samsung) و (Amazon) و (Microsoft) و (Nestlé) و (Vodafone)، وغيرها الكثير.

إن هذه الشركات تزحفُ بهدوءٍ نحوَ قِمةِ سُلمِ النفوذِ العالميِّ، حيث لا ولاءَ لها لِعَلْمٍ مُحدَّدٍ، ولا تنتمي لجنسية بعينها. وقریباً ستتحكّم في مفاصلِ الدول، وتكونُ لها الكلمة الأولى في السّلمِ والحرب. كيف لا، وهي التي تسيطر على اقتصادِ العالم، وتتفوق على دولٍ عظمى! فالشركات العملاقة أو المؤسسات الاقتصادية بدأت تنافس الدول العظمى في التحكّم في العالم وكلُّ هدفها بَسْطُ نفوذها على السياسات والقوانين في جميع الدول لتُحقّق مزيداً من الثراء والنفوذ.

صحيحٌ أن الأمر الطبيعيّ أن تبحثَ الشركات ورجال المال عن تحقيق الأرباح. لكنّ الأمر اليوم تخطّى الأموال، وأصبح مفهوم الشركات العابرة يمثلُ تحدياً جديداً لتعريف القوة العظمى. تعريف لا يتضمن الجيوش والأسلحة بل المال. لذلك نجد أنّ من بين أقوى مئتي كيان اقتصادي في العام الماضي مرتبين من حيث الدخل أو الناتج المحلي في حالة الدول، والعائدات في حالة الشركات، هناك مئةٌ وسبعةٌ وخمسون، هي شركاتٌ وليست دولاً، وفي نفس القائمة نجد أنّ من بين أقوى مئةٍ كيانٍ اقتصاديٍّ هناك تسعةٌ وستون مؤسسةً.

إنّ هذه الشركات الآن تُنافس الدول الكبرى من خلال تعاظُم نفوذها وقدراتها المالية الضخمة التي تستخدمها للتحكّم في السياسات والقوانين التي تخدم مصالحها وتقوّض من سلطات الهيئات التي يُفترض أنها تراقب أعمالها. ولأنّ الدول بحاجة هذه الشركات لتُنعشَ اقتصادها نجدها تغضّ الطرف عن بعض سلوكياتها، وشيئاً فشيئاً تصبح تحت نفوذها إذ لا يمكنها أن تقاومها، ولا أن تعيش بدونها. وهكذا تتحول الدول والأقطار إلى أدوات بيد هذه الشركات تُسخرها لخدمة مصالحها.

أنظر الآن إلى العالم. إنه عالم غارق تحت الديون، فالناس مديونة للحكومات، والحكومات مديونة وتحت العجز، وفي النهاية هناك حوالي ٣٠ شخصاً يحكمون العالم مادياً، ومن يحكم العالم مادياً يحكمه سياسياً. إنهم الآن من يقررون السلم، والحرب والفوضى في كل مكان. ولإنجاز ذلك يستخدمون مؤسسات دولية «رشيدة» مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية، والبنك الدولي، وقوات الطوارئ الدولية. ويحققون نظامهم العالمي، في إطار ما يقال عنه «الشرعية الدولية»، كما حدث في حرب الخليج عندما صدت الشرعية الدولية العدوان العراقي على الكويت. وكما حدث في ليبيا عندما أسقطت الشرعية الدولية نظام معمر القذافي، وكما حدث في العراق، وسوريا، وأفغانستان، ويوغسلافيا، وغيرها. إضافة للحصار الاقتصادي والعقوبات الاقتصادية التي تتم على الدول باسم الشرعية الدولية، بغاية إحداث الفوضى فيها، وزعزعة أنظمتها، أو القبول بشروطها.

من أهم ميزات هذا النظام العالمي الجديد والتي صارت غير خفية، العمل على إلغاء جميع العملات الورقية الحالية، وتحويلها إلى نوع جديد من العملة يدعى النقد الإلكتروني (Bitcoin)^١. وأيضاً إلغاء الهوية الوطنية واستبدالها بهوية عالمية رقمية. وإلغاء مفهوم العائلة كما هو متعارف عليه اليوم، وإبداله بمفهوم يتناسب والعالم الجديد، حيث العائلة يمكن إن تتكون من رجل وامرأة وأولاد، أو من رجلين وأولاد، أو امرأتين وأولاد. وهؤلاء جميعاً عليهم أن يعملوا من أجل الحكومة العالمية الجديدة. كل هذا يؤدي في النهاية إلى طمس كل الثقافات الخاصة للشعوب واستبدالها بثقافة عالمية واحدة لكل الناس. وأيضاً جيش عالمي واحد، وتعليم عالمي واحد، وشرطة عالمية واحدة، وسكان مجهزين برفاقات إلكترونية يحكمها جهاز كمبيوتر متطور. كل ذلك

^١ - بيتكوين، هي عملة معمة، ونظام دفع عالمي يمكن مقارنتها بالعملات الأخرى مثل الدولار أو اليورو، لكن مع عدة فوارق أساسية، من أبرزها أن هذه العملة هي عملة إلكترونية بشكل كامل، ويتم تداولها عبر الإنترنت فقط من دون وجود فيزيائي لها. (ويكيبيديا)

سُيَبِّقَ في ديكتاتورية غاية في سعة الانتشار، يسودها بالتأكيد العلم والفكر. ولأن هاجس الناس هو الربّ، والخطابات حول الربّ، سوف يسمع الجميع عن الربّ في كلّ مكان. وهذا الرب هو رب واحد للجميع. هو فوق كل شيء، وله يقدم الولاء من الأفراد والأمم على السواء، وهو بخلاف الأرباب السائدة الآن حيث لكل ديانة إلهاً خاصاً بها يختلف في صفاته عن بقية الآلهة في بقية الديانات. ولتتميم ذلك يحاربون كل الأديان، ولا سيما المسيحية، بكل ما فيها من رموز وشعارات، ويعتبرون استخدامها عملاً غير شرعي وغير قانوني. ويعملون على استبدال الأعياد الدينية لا سيما المسيحية بأعياد تناسب العالم الجديد للوصول إلى هذا الدين العالمي الجديد الذي يجعل الجميع طائفة واحدة تُلغي جميع الصراعات الدينية.

وبمجرد إعلان هذا النظام العالمي الجديد، الدكتاتوري، لن يكون الحق لأحد في قول أيّ شيء سلبي عن هذا النظام، أو عن ديانته. وسيكون الجميع في خضوع تام. ومن لا يقبل، ربما يكون الموت من نصيبه، ومن سيحكم كل هذا، ويتممه بسهولة تامة هو النظام الرقمي الإلكتروني، والهوية الرقمية، التي ستكشف طاعة أو عصيان أي شخص.

الآن العالم يتجه نحو التعامل «الكتلي»، أي إلى الكتل والمجموعات الكبرى، حيث لم تعد الدولة لوحدها قادرة على رسم تصورات مستقبلها مهما كان حجم هذه الدولة على المستوى السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو السكاني. لذلك كل الدول المستقلة لن تجد لها مكاناً بارزاً إلا من خلال تكتلات سياسية اقتصادية كبرى تحتفظ فيه الدول القطرية بشخصيتها القانونية ومكانتها وسيادتها، رغم أنها تدور في فلك واسع هو الكتلة التي تنتمي إليها. ولكن في المستقبل القريب لن يكون لهذه التكتلات أي معنى لأن النظام العالمي الجديد لا يقبل إلا مفهوم الواحد، الممثل في الربّ الواحد، الاقتصاد الواحد، الهوية الواحدة بما تعنيه من ثقافة واحدة.

فإذا كانت البشرية قد احتاجت ما يقرب من (١٨٠٠) عام حتى تبدأ الثورة الصناعية الأولى (١٧٦٠م)، التي قدمت للبشرية القوة البخارية والمصانع والآلات. واحتاجت إلى ثمانين عاماً حتى تدخل الثورة الصناعية الثانية (١٨٤٠م) التي قدمت للبشرية الكهرباء والفولاذ والاتصالات البعيدة المدى والعولمة. واحتاجت إلى مئة وعشرين عاماً لتدخل الثورة الصناعية الثالثة (١٩٦٠م) التي قدمت للبشرية أول الحواسيب في العالم والهواتف النقالة والإنترنت. فإنها قد احتاجت إلى أربعين عاماً لتدخل الثورة الصناعية الرابعة (٢٠٠٠م) التي نعيشها الآن عبر التطور الكبير في مجالات الفضاء، والمعلومات، والعقول الإلكترونية، والهندسة الفضائية، والذكاء الاصطناعي، والسيارات ذاتية القيادة، والمساعد الرقمي الآلي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وتعديل الجينوم البشري، ومواد جديدة كالغرافين، والمايكرولاتس (microlattice) الذي هو أخف معدن بالعالم، وتقنيات تخزين البيانات المعمّاة، ووسائل تحويل الأموال مثل (blockchain)، التي مهدت جميعها للنظام العالمي الجديد. باختصار إنّ النظام العالمي الجديد (N.W.O ، New World Order)، هو مصطلح رسمي يُستخدم للإشارة إلى مشروع توحيد العالم في ظلّ حكمٍ عالمي، هو العولمة، لكن ليست العولمة الاقتصادية بأسلوب منظمة التجارة العالمية، ولا عولمة الأمن العالمي للأمم المتحدة، أو عولمة القوة من نوع حلف الناتو، بل هو عولمة سياسية ودينية واقتصادية وثقافية، تُشكّل فيها جميع دول العالم اتحاداً، لا شراكة.

١- تكنولوجيا بلوك تشين هي تكنولوجيا برمجية جديدة كلياً، ظهرت لأول مرة عام (٢٠٠٩) في ورقة بحثية قدمها المدعو ساتوشي ناكاموتو، والتي كان الغرض منها في الأساس ابتكار العملة الرقمية بيتكوين. تقوم هذه التكنولوجيا على نظام الند للند، أي يتم إجراء المعاملات بين مستخدمي هذه التكنولوجيا بدون أي وسيط. وهي تكنولوجيا لا مركزية أي لا يوجد من يتحكم بالمعاملات التي تتم من خلالها، فلا يوجد هيئات حكومية مثلاً مسيطرة على مجريات الأمور بها، ولا حتى شركات تدير وتنظم العمل بها. وأيضاً هي تكنولوجيا تشفيرية، أي أن البيانات التي يتم تناقلها، أو الأموال التي يتم تداولها من خلالها تكون مجهولة المصدر، فمثلاً لو قام شخص بإرسال عدد ٣ بيتكوين لشخص آخر، فلن يستطيع أحد معرفة أي من الطرفين، لأن الأشخاص في نظام البلوك تشين هم مجرد code (رمز).

❖ مظاهر تحدي الإنسان لخالفه في هذا النظام العالمي الجديد.

هل توقف الإنسان عند هذا الحد من التطور! ها هو بحماسة يخترع بشراً جديداً، إنساناً نظيره، أمهر منه، لا يتعب، ولا ينام، ولا يحتاج إلى استراحة، جبار في قوته، كما في معرفته. إنه الإنسان الآلي (الإنسالي) الخالد، الذي لا يعرف الموت، والذي سيأخذ عن قريب مكان الله في إدارة كل العالم الحقيقي، والتحكم به.

عن قريب سيكون الإنسالي هو القاضي بين الناس، لأنه يستطيع أن يحفظ كل القوانين أفضل من أمهر القضاة البشريين. وكذلك سيكون المدرّس، لأنه يعرف كل المعلومات، ويستطيع أن يجري أعقد الحسابات، ويقوم بحل المسائل وتعليم اللغات، بدرجة أفضل من أمهر المدرّسين. وكذلك سيكون السائق لأنه يحفظ كل الطرق ويعرف كل الجسور والأنفاق، وأماكن الجبال والوديان، والمنزهات، والمشافي والبيوت والفنادق، والمطاعم، أفضل من كل السائقين مجتمعين. وكذلك سيكون أفضل مصدر لإعطاء الأخبار حيث أنه في سرعة الضوء يستطيع أن يدخل إلى غوغل ويستحضر كل المعلومات في كل مكان من العالم.

وكذلك سيكون الطبيب الذي يعالج ويجري أفضل العمليات الجراحية وأدقها باحتمال خطأ يكاد يساوي الصفر، فهو يعرف الخريطة البشرية لجسم الإنسان كما لم يعرفها طبيب من قبله، وقد يصل به الأمر إلى التلاعب بالجينات الوراثية للإنسان ليعدل في تركيبه الإنسان الخَلقية أو الخُلقية كما يريد. إنه يعمل مكان الله.

هذا الإنسالي، بخلاف الإنسان، حيث لا يتأثر ذكاؤه الاصطناعي بأية عواطف قد تُعيق سير عمله، فأنظمته لا تتصف بالمزاجيّة، وإنما تعمل وفق طريقة تفكير منطقيّة، مما يجعلها قادرة على اتخاذ القرارات الصحيحة خلال وقت زمني قصير. فماذا يريد الإنسان أن يقول لله؟

هل يقول له: أنت لا تنفع! إنك لا تعمل ما يُسرّني ولا تخضع لي، فها أنا استبدلك بإله من تصميمي! يعمل على إسعادي بتحقيق كل رغباتي.
أو يقول له: أنت صمّمت إنساناً ضعيفاً معرضاً للموت، وها أنا أصمّم إنساناً قوياً لا يعرف الموت. أنا أتحداك!

فمنذ أن سقط الإنسان في الخطية وهو إلى الآن بتحريض من الشيطان يعمل على تحدي الله، ورغم فشله في كل مرة، إلا أن الأمل يعزوه بأن ينتصر على خالقه. ولكن كما أهين الإنسان في كل تحدي، سيُهان في هذا التحدي أيضاً. إذ سيأتي وقت، وهو قريب، يبلبل فيه الله هذا العالم الجديد، ويأتي بملكوته، بعد ضيق عظيم يدمر فيه هذا العالم الرقمي، الذي هو صناعة الإنسان، ليعود هذا العالم إلى وضعه الطبيعي كما صممه الله منذ البداية.



ها هي شركة (Apple) تختار لنفسها شعاراً تتحدى به الله (هذا أحد التفسيرات)، عبارة عن ثمرة تفاح اقتطع جزءٌ منها، فالله الذي قال لنا: لا تأكلوا من شجرة معرفة الخير والشر، كلامه مرفوض، شعارنا، سنأكل، بل أكلنا. ها

نحن نطور أنفسنا لنصير مثل الله عارفين الخير والشر!

عندما أطلق العلماء مركبة إلى الفضاء أسموها (Challenger)^٢، أي المتحدي، أو المنافس.

١- شركة أمريكية متعددة الجنسيات، تعمل على تصميم وتصنيع الإلكترونيات ومنتجات برامج الحاسوب، أنشئت في كاليفورنيا (١-٤-١٩٧٦)، أسسها ستيف جونس، لها فروع في ١٧ دولة، عدد موظفيها (١١٥) الف موظف.

٢- (تكوين ٢: ١٦-١٧).

٣- مكوك فضاء أمريكي انفجر بعد ١,٥ دقيقة من إطلاقه في ٢٨ يناير ١٩٨٦، مما أدى إلى مقتل طاقمه المؤلف من سبعة أفراد.

وعندما صنعوا أكبر سفينة في العالم أسموها (Titanic)، أي الجبار^١.
والآن يطور الإنسان نفسه، ليس ليبقى في الدائرة الأخلاقية التي رسمها الله،
أو ليعيش حياة أكثر رفاهية، بل ليصير مثل الله. ها هو يزواج الإنساني
(Robot) مع الإنسان المخلوق، ليصير لدينا إنساناً جديداً صممه الإنسان
والله. أيُّ جبروت هذا أن يُعتبر الإنسان نفسه مصمماً مثل الله، فيحاول أن
يتلف مشورة الله من نحو خليقته.

في (١٩ أبريل) من عام (٢٠١٥) انتهت شركة «Hanson Robotics Limited»
الموجودة في هونغ كونغ، من تصميم روبوت شبيه بالبشر يتطور
ذكاؤه مع الوقت، أُطلق عليه اسم صوفيا. وقد صُممت صوفيا كي تتعلم،
وتتأقلم مع السلوك البشري وتصرفاته، ولكي تعمل مع البشر.



تُعرف صوفيا بمنظرها وتصرفها الشبيهان
بالبشر مقارنة بالروبوتات الأخرى السابقة.
وهي تملك ذكاءً صناعياً ومعالجة بيانات
بصرية وقدرة على تمييز الوجوه. كما أنها تحاكي
الإحساسات البشرية وتعايير الوجه، ولديها أيضاً
القدرة على الإجابة على أسئلة معينة وإجراء
حوارات بسيطة في مواضيع محددة كالطقس
على سبيل المثال. وتأمل الشركة أن تكون
صوفيا قادرة على التفاعل مستقبلاً مع البشر
بما يكفي لتمتلك مهارات اجتماعية!!

إن التقدم الهائل الذي تحقق في مجال صناعة «الروبوتات» جعل العديد
من العلماء يطلقون العنان لخيالهم واختراعاتهم بالاستعداد للاحتمال السماح

^١ - سفينة ركاب بريطانية، عندما تم بناؤها اعتبرت وقتها أكبر سفينة في العالم، ومن المفترض أنها غير قابلة
للغرق. أثناء رحلتها الأولى في أبريل ١٩١٢ اصطدمت بجبل جليدي في شمال الأطلسي، وغرقت مع ١٤٩٠
شخصاً كانوا على متنها.

بزواج الإنسان من الروبوت في المستقبل. ويتوقع البعض أنه في حلول عام (٢٠٥٠) ستكون الروبوتات جاهزة لاقتحام غرف نوم البشر، وستكون قادرة على ممارسة الجنس لدرجة أن بعض الأشخاص سيفضلونها على شركائهم الآدميين، مما قد يهدد الجنس البشري. وربما يُقدّم الكثير من البشر على الزواج منها إن كان ذلك قانونياً، فهي ستكون ذات أجساد ووجوه وأصوات حية مثل الناس وبشكل يصعب تمييزها، وستكون قادرة على تقديم المتعة الجنسية لملايين الناس غير القادرين على إيجاد عشيقة بسبب الخجل أو الدمامة. وهذا ما سيؤدي إلى تغيير في سلوك البشر حيث سيدمر العلاقات الإنسانية التي تركز على العاطفة. ولأن العلماء يحاولون التركيز على شكل الروبوتات الجنسية فهم يحاولون التأكيد بأن العلاقات البشرية هي مجرد علاقات جسدية، بالتالي يساهمون في تحطيم كل العلاقات الاجتماعية والعاطفية بين البشر، وكذلك تدمير مفهوم الأسرة الذي أنشأه الله.

وبالفعل، قامت اليابان والصين بتطوير روبوتات جنسية يمكنها إقامة علاقات جنسية مع البشر وكأنها كائن بشري عادي، ويمكنها أن تقدم «فرصة ممتعة» خاصة بالنسبة للرجال الوحيدين أو البائسين كما يقول صانعوها.

وكذلك عمل د. سيرجي سانتوس وزوجته ماريتسا^١ في مدينة برشلونة معاً على تطوير روبوتات جنسية تشابه شكل النساء على نحو هائل. وقد زودت هذه الروبوتات بـ «عقول» تجعلها أكثر من مجرد دمي جنسية، فهي قادرة على التفاعل مع الرجل. وتحمل وجوهاً جذابة، وشعراً يبدو حقيقياً وأجساداً أنثوية. ويتوقع العلماء أن ينتشر الجنس مع الروبوتات سواء على هيئة نساء أو رجال، في حين سيترك الجنس الطبيعي للمناسبات الخاصة.

ووفقاً للعلماء اليابانيين وبعض علماء المستقبل في مركز «Transhumanity» فإن ما ينتظر البشرية هو: «روبوت الجنس الذي سيكون مرغوباً، لأنه صبور

١ - <http://aliawm.com/Page.asp?ID=19328>

ونشيط، وأكثر إثارة من الإنسان، وعلاوة على ذلك سيزوّد بقدرات فائقة في الجنس. ومن مزايا هذا الجنس أنه آمن ودون قيود عدم الثقة. وسيتخلص المجتمع بالتالي من الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس.

وفي نفس السياق قال «مات مكمولين» الرئيس التنفيذي لشركة «دمية الحب» (The RealDoll)^١، إن الشركة تعمل على تكنولوجيا ذكاء اصطناعي للروبوتات الجنسية تجعلها تعمل بشكل مطابق للإنسان.

وخلال الفترة الماضية تم إطلاق عدد كبير من الروبوتات الجنسية المتطورة التي يمكنها التحدث والتفاعل مع البشر بشكل متطور وغير مسبوق. وهناك خطط في عدد من الدول مثل اليابان لزيادة هذه الأنواع من الروبوتات. وليس هذا فقط، بل يتم تطوير تكنولوجيا الواقع الافتراضي^٢ ليكون للإنسان شريك حياة خيالي في المستقبل يجعله يتخلى عن علاقاته الإنسانية الأخرى. هذا الكلام قد يبدو غريباً الآن ولكن سيكون واقعياً في المستقبل القريب، عندما لا يكون هناك فرق بين العالم الافتراضي والواقعي نتيجة تطور هذه التكنولوجيا. وفي سياق آخر، تعمل وزارة الدفاع الأميركية منذ مدة على تطبيق تقنية الشرائح الذكية للأدمغة في المجالات العسكرية من خلال (Darba)^٣، التابعة

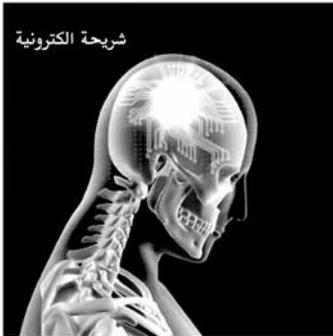
^١ - هي دمية جنس بالحجم الطبيعي صنعتها Abyss Creations، LLC في سان ماركوس ، كاليفورنيا ، وتباع في جميع أنحاء العالم. لديها هيكل عظمي PVC ممكن مع فواصل الصلب ولحم السيليكون. (ويكيبيديا)

^٢ - تكنولوجيا الواقع الافتراضي يمكن تعريفها على أنها تقنية حاسوبية تتضمن محاكاة بيئة حقيقية أو ثلاثية الأبعاد تعمل على نقل الوعي الإنساني إلى تلك البيئة ليشعر بأنه يعيش فيها، وقد تسمح له أحياناً بالتفاعل معها.

^٣ - داربا، هي وكالة مشاريع البحوث الدفاعية المتقدمة التابعة للبتاغون، أسست من قبل الرئيس دوايت ايزنهاور، بعد أن أذهل الروس العالم بإرسالهم سبوتنيك إلى مدار حول الأرض في العالم ١٩٥٧. التبرير الوحيد لوجودها هو (تسريع تحقيق المستقبل). كانت (Arpanet) أحد مشاريعها الأولية في ستينات القرن الماضي، والتي كانت عبارة عن شبكة اتصالات لا سلكية لوصول العلماء والموظفين إلكترونياً خلال الحرب العالمية الثالثة المتوقعة. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي قررت مؤسسة العلوم الوطنية أنه من غير الضروري إبقائها سرية، فأزاحت الستار عن هذا المشروع لتصبح (Arpanet) في النهاية هي الإنترنت. ومن مشاريعها أيضاً الهواتف الخليوية، نظارات الرؤية الليلية، النظام العالمي لتحديد الموقع GPS، أقمار رصد الطقس، وغيرها كثير. والآن تعمل Darba على إيجاد تطبيق للتفاعل بين الآلة والدماغ.

لها، إذ تسعى «داربا» لابتكار تقنيات تخوّل الجنود التحكم بأنظمة الدفاع السيرياني^١ (قوانين الأمن الإلكتروني)، وبالطائرات من دون طيار «Drones»، من خلال عقولهم وأفكارهم عن بعد.

كما أن شركة غوغل تطور تقنية في الذكاء الاصطناعي ستحدث ثورة في مجال التعليم عبر زرع شريحة في الرأس البشري تسمى (google brain) «غوغل برين»، تُعني عن المدارس. ويقول مؤسس الفكرة (نيكولاس كيرينوس)^٢ الخبير التقني بمؤسسة (Fountech.ai): إن التعليم بالحفظ سينتهي من المدارس لأن غوغل سيكون في رأسك.



ومثلها فعلت شركة (نيورالينك) المملوكة للملياردير الأمريكي ايلون ماسك^٣، إذ زرعت شريحة إلكترونية، يبلغ عرضها (5 ميكرون)، في أدمغة خنازير، يمكن من خلالها التواصل مع الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر عبر تقنية البلوتوث.

وقد صرح ايلون ماسك في شهر آب - ٢٠٢٠، إن هدف هذه الشريحة هو دمج الذكاء الاصطناعي بالعقل البشري. حيث سيتم تركيبها بالدماغ البشري، وتحديدًا على قشرة المخ، ويتم توصيلها بأسلاك مرنة ودقيقة جداً بالمناطق المسؤولة عن الحركة والإحساس والمشاعر. ويستطيع الإنسان بعد تركيبها أن يُخزن عليها كميات ضخمة من المعلومات. وهذه الشريحة قادرة أن تعالج معظم الأمراض التي يكون سببها المخ والأعصاب، كفقدان الذاكرة، وضعف

١- هي وسائل من شأنها الحد من خطر الهجوم على البرمجيات أو أجهزة الحاسوب أو الشبكات، وتشمل تلك الوسائل الأدوات المستخدمة في مواجهة القرصنة، وكشف الفيروسات ووقفها، وتوفير الاتصالات المشفرة.

٢- يعمل كيرينوس في مجال الذكاء الاصطناعي منذ أكثر من (٢٠) عاما وشركته (Fountech.ai)، متخصصة في تطوير حلول الذكاء الاصطناعي للشركات والمؤسسات.

٣- (Elon Musk) مهندس ومخترع. مؤسس عدة شركات، منها شركة نيورالينك (Neuralink) المتخصصة في مجال التكنولوجيا العصبية التي تركز على تطوير طرق اتصال الدماغ البشري مع الحاسوب.

السمع والبصر، والاكْتئاب وغيره. ويمكن لهذه الشريحة أن تقرأ كل وظائف الدماغ وتعمل على تنظيمها والتخطيط للمستقبل وحل معظم المشاكل المعقدة. وقادرة على التحكم بكل المشاعر الإنسانية كالألم، والحزن وغيره. ولهذه الشريحة إمكانية الاتصال بالإنترنت، أي بمصدر لانتهائي من المعلومات، ويمكن لها التواصل مع أي شخص يملك نفس الشريحة من خلال الكمبيوتر أو أي جهاز إلكتروني، بدون الذهاب إليه، أو استخدام الموبايل.

ويأمل العلماء أن يتم تطوير تلك الشريحة للقضاء على الشعور بالألم والحزن والتحكم بالذكريات والأحلام، وتطوير أدوات مبتكرة للتخاطر والبرمجة العقلية. تخيل معي، لو وُضعت شريحة ذاكرة في دماغك تُمكنك حذف أية ذكريات سيئة مرّت عليك خلال سنوات حياتك، وتُمكنك أيضاً إضافة أية ذكريات جميلة. كم ستكون حياتك سعيدة!! هذه ليست مجرد تخيلات ولكنها أصبحت واقعاً ملموساً، بعد أن توصل العلماء إلى زراعة الذاكرة «Memory Implant» وهي عملية يتم فيها زراعة شريحة ذاكرة «MEMORY CARD» في المُخ لاستعادة وحذف وإضافة الذكريات التي تريدها، ونجحت التجارب إلى حد ما على الحيوانات ولا زالت في طور التطبيق على البشر.

هناك منطقة في الدماغ تدعى الحصين، يتم فيها معالجة الذكريات لدى البشر. والان يعمل العلماء لإيجاد مخطط لتدفق المعلومات التي تتحرك باستمرار عبر الحصين لمعرفة ما اذا كان بالإمكان تحميلها إلى شخص آخر فتصبح هذه الذكريات مُلكه.

يقول العلماء انه يمكن لمرض الزهايمر أن يمسح الذكريات من دون تمييز، فماذا لو استطعنا محوها بشكل انتقائي؟ ماذا لو استطاع العلماء نقل ذكريات عن عائلات لم نكن جزءاً منها. أو ذكريات جميلة عن أشخاص، أو هيئات شريرة كانوا أعداءً لنا. أو ذكريات جميلة عن حياة كاملة لم نعشها. أو ذكريات مخيفة عن حروب، أو معتقلات وسجون. أو ذكريات عن خبرات دينية مرعبة أو جميلة. أو ذكريات عن علاقات غرامية لم نكن جزءاً منها أبداً. وماذا

لو استطاع العلماء مسح جزء من ذاكرتنا بشكل انتقائي! عندها من سيجيب عن السؤال: من نحن؟ من هم أولادي، من هي زوجتي، هل هذا مجتمعي، من يستحق ولائي ومن يستحق عدائي؟ ما هي عقيدتي الدينية؟

في خطابه عن حالة الاتحاد أذهل باراك أوباما المجتمع العلمي بإعلانه أن صناديق البحث العلمي الاتحادية ستخصص لمبادرة بحوث الدماغ من خلال تطوير تقنيات عصبية مبتكرة، مبالغ ربما تصل إلى ثلاثة مليارات دولار. وفي الوقت نفسه تقريباً أعلنت المفوضية الأوروبية^١ أن مشروع الدماغ البشري (Brain) سيمنح (١،١٩) مليار يورو لخلق تمثيل حاسوبي للدماغ البشري.

هذا المشروع سيخلق نسخة عن الدماغ البشري مصنوعة من الترانزستورات والفلوذا. يعتقد البعض، أن هؤلاء العلماء لو نجحوا فسوف يغيرون مسار التاريخ البشري لأنهم ربما يفكون سر الوعي^٢ ويحمّلونه على حاسوب. ولو أمكن نقل الوعي إلى الحاسوب فهل يعني ذلك انه ليس بالضرورة أن نموت؟ انهم يتساءلون هل يمكن للوعي أن يوجد بنفسه حراً من قيود الجسم البشري؟ هل يمكننا أن نترك أجسامنا المادية، وان نتجول كالأرواح في هذا الكون الفسيح؟ أو أن نُحمّل وعينا على الحاسوب فنصير خالدين، أي نصير بشر في أجساد سيليكونية أو معدنية لا تُعرف الموت.

قال دانييل هيل^٣ - المؤسس المشارك في شركة الآلات المفكرة - (أنا مولع بجسمي كأني إنسان، لكنني لو استطعت أن أعيش مثلي عام بجسم من السيليكون فسوف أغتئم الفرصة).

بالرغم من النتائج الإيجابية التي ستترتب على مثل هذه الخطوة، فمن الواضح أنها قد تؤثر بشكل سلبي على المجتمع ككل، خاصة عندما تتحكم

١- سلسلة عالم المعرفة، ج ٤٤٧، مستقبل العقل. تأليف ميشيو كاكو، ترجمة سعد الدين خرفان، ص ٣٠٦.

٢- لا يوجد تعريف علمي له، لكنه الكلمة المرادفة للروح دينياً.

٣- سلسلة عالم المعرفة، ج ٤٤٧، مستقبل العقل. تأليف ميشيو كاكو، ترجمة سعد الدين خرفان، ص ٣٠٣.

بها الشركات العابرة القوميات، إذ ستحدث فوارق كبيرة في نسب الذكاء بين أبناء المجتمع الواحد، أو بين أبناء شعب وآخر. كما أنها ستغير العقائد الدينية للكثيرين، وستوجد ديناً جديداً (Ecumenical) مسكوني عالمي، يخضع له كل الناس. فوجود هذه الشرائح يعني اندثار كل الأديان من كل العالم. وإذ تنتفي الفروقات الدينية بين الأشخاص والجماعات، تنتفي تلقائياً الحروب الدينية، وخطر الإسلاموفوبيا (Islamophobia) سيزول بسنوات قليلة.

سيأتي وقت، وهو قريب، تكون فيه هذه الشرائح ضرورة حياتية، لا تستطيع أن تعيش وتمارس نشاطك بدونها، ستكون هي الإرهاب الذي يضعه الإنسان على نفسه ليجرد نفسه من نعمة حرية الاختيار.

وهكذا في ظل الاستخدام المتزايد من الناس للأجهزة والبيانات الشخصية ذات العلاقة بعالم الإنترنت، بدأ يظهر ويتنامى في هذه البيئة الرقمية الجديدة، ما يسمى بهويتنا الرقمية التي تحدد حرفياً حقيقة من نكون. وها هي دول العالم المتقدم مثل بريطانيا، والولايات المتحدة، وكندا، أوجدت مفهوم يسمى بالمواطنة الرقمية Digital Citizenship وهو مفهوم جعل من المواطن رقماً^١. وهذه الدول يدرّس طلابها في المدارس مواضيع خاصة بالمواطنة الرقمية في إطار منهج التربية الرقمية.

إن الهوية الرقمية هي أكثر من مجرد مسألة دخول حساب على موقع، إنها كتلة متنامية ومتطورة من المعلومات المتعلقة بنا، إنها ملفاتنا الشخصية وسجل نشاطنا الشبكي. وبمرور الوقت تتسع دائرتها يومياً، جاذبة المزيد من الناس نحو العصر الرقمي. ومن خلال هذه الهوية سيكون لنا مستقبلاً الطريقة التي تحدد تمثيلنا أو مساهمتنا في النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي نعيشه.

من هو المتحكم بهذه الأمور؟ ليست الحكومات كما قلنا، لكن علماء التكنولوجيا الذين تتحكم بهم الشركات العابرة القارات. فالآن عمالقة

١ - المواطن الرقمي، أي الشخص الذي يستخدم الإنترنت بشكل منظم وفعال.

التكنولوجيا يتعاونون بعضهم مع بعض تحت إشراف وتمويل هذه الشركات لكي يسودوا العالم، والجميع يؤكد: إن هذا ما ينبغي أن يحصل.

إلى متى سيستمر هذا النظام العالمي الجديد؟

الجواب، إلى الساعة التي يُعلن فيها الرب إنَّ زمن النعمة انتهى، ولم يعد هناك من مجالٍ لفرصةٍ أخرى تُمنح للإنسان، لأن لا فائدة تُرجى من ذلك. وهذا الزمن بات قريباً جداً، إذ فيه تُخطف الكنيسة -جماعة المؤمنين في المسيح- من وسط العالم الشرير إلى سُحب المجد لملاقاة الرب في الهواء، لتبدأ بعدها الضيقة العظيمة-ساعة غضب الله.

من علامات ذلك الزمان:

❖ «...ولكن متى جاء ابنُ الإنسانِ أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الْإِيمَانَ عَلَى الْأَرْضِ»^١ (لوقا ١٨: ٨)

❖ «...وتكونُ أورشليمُ مَدُوسَةً مِنْ الْأُمَمِ حَتَّى تَكْمَلَ أَزْمَنَةُ الْأُمَمِ (في حكم

أورشليم)»^٢ (لوقا ٢١: ٢٤)

❖ «لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة

وزلازل في أماكن» (متى ٢٤: ٧)

❖ «وعلى الأرضِ كَرْبٌ (غم) أُمَمٌ بِحَيْرَةٍ (في حيرة). البحرُ والأمواجُ تَضْجُ.

والتَّاسُ يُغْشَى (يُغْمَى) عليهم من خوفٍ وانتظارٍ ما يَأْتِي على الْمَسْكُونَةِ لِأَنَّ

قَوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعَّجُ...» (لوقا ٢١: ٢٥، ٢٦)

^١ - إن الرب عند مجيئه (لا يوحى بأنه لن يجد مؤمنين، لكن يقول إن الإيمان لن يكون الصفة الغالبة لأهل العالم في ذلك الحين) القس ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، إنجيل لوقا. ص ٢٨٠.

^٢ - لقد بدأ انتصار الأميين بخراب أورشليم بيد بابل عام (٥٨٦ ق. م) وسي الشعب اليهودي. ولم تعد إسرائيل أمة مستقلة بل خاضعة لحكم الأميين. وحتى في وقت حياة الرب يسوع على الأرض كانت إسرائيل تحت حكم الرومان، وقد هدم قائد روماني مدينة أورشليم عام ٧٠ م. وفي هذه الآية يقول الرب يسوع إن سيادة الأمم تستمر حتى يضع الله حداً لها. ولا يشير انتصار الأمم فقط إلى تكرار خراب أورشليم (القدس) بل يشير أيضاً إلى الاضطهاد المستمر المتزايد على الشعب حتى النهاية (أي حتى عودة إسرائيل كأمة مستقلة).

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس

❖ «ويكونُ في ذلكَ اليومِ أتيَ أُجعلُ أُورُشليمَ حِجراً مِشِوالاً لجميعِ الشُّعوبِ وكلِّ الَّذِينَ يَشيلونهُ يَنشُقُّونَ شِقاً. ويجتمعُ عليها كلُّ أُممِ الأَرضِ»^٢ (زكريا ١٢: ٣) بعد الاختطاف تبدأ مباشرة الضيقة العظيمة على الأرض، والتي تنتهي بعد سبع سنوات تقريباً بمُلك المسيح على العالم بأسره بعد سلسلة معارك على الأرض تسمّى، هرمجدون^٣، حيث هرمجدون موقع سيشهد في نهاية الضيقة العظيمة المعارك التالية:

الأولى، بين الوحش الصاعد من البحر (رئيس الإمبراطورية الرومانية، ومقره روما) وحليفه النبي الكذاب (مقره أُورُشليم)، وبين الرب « ١٩ وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الْأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْباً مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرْسِ وَمَعَ جُنْدِهِ. ٢٠ فَفُضِّضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ، الصَّانِعُ قُدَّامَهُ الْآيَاتِ الَّتِي بِهَا أَضَلَّ الَّذِينَ قَبِلُوا سِمَةَ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ. وَطُرِحَ الْإِثْنَانِ حَيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقَدَةِ بِالْكَبْرِيتِ. ٢١ وَالْبَاقُونَ قُتِلُوا بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرْسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ، وَجَمِيعُ الطُّيُورِ شَبِعَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ» (رؤيا ١٩).

الثانية، بين ملك الشمال (رئيس سوريا والعراق)، وبين الرّب « ٤٤ وَتُنْفِزُهُ (ملك الشمال) أَحْبَابٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الشَّمَالِ فَيَخْرُجُ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ لِيُخْرِبَ وَلِيُحَرِّمَ (يقتل) كَثِيرِينَ. ٤٥ وَيَنْصُبُ فُسْطَاطَهُ (معسكره الملكي) بَيْنَ الْبُحُورِ (البحر الميت والبحر المتوسط) وَجَبَلِ بَهَاءِ الْقُدْسِ وَيَبْلُغُ نَهَائَتَهُ وَلَا مُعِينَ لَهُ» (دانيال ١١).

الثالثة، بين جوج (رئيس روسيا)، والرب يسوع « ١٨ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجِ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي

١ - حجر ثقيل تُمتحن به قوة الرجل عندما يرفعه عن الأرض.

٢ - المقصود بهذه العبارة عودة إسرائيل إلى فلسطين، وتحول أُورُشليم إلى مشكلة عالمية.

٣ - جبل مجاور ل (بزرعيل) المعروف اليوم، بمرج ابن عامر في فلسطين.

أَنْفِي.. ٢١ وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَيَكُونُ سَيْفٌ كُلٌّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ. ٢٢ وَأَعَاقِبُهُ بِالْوَيَا وَبِالدَّمِ، وَأَمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطْرًا جَارِفًا وَحِجَارَةً بَرْدٍ عَظِيمَةً وَنَارًا وَكَبْرِيَّتًا. ٢٣ فَاتَّعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأَعْرِفُ فِي عُيُونِ أُمَّمٍ كَثِيرَةٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ» (حزقيال ٣٨).

باختصار، هذا العالم الراض للمسيح، والذي تحدى الله في كل شيء، لا بد من مجازاته بحسب ما أخذ من فرصة للتوبة ورفض. وكما أنّ كل الخطايا تقدمت إلى الأمام في هذا الزمن الرديء، هكذا سيتقدم كل غضب الله على شرور الناس وسيصرخون من شدة الألم في تلك الساعة قائلين: «طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُدِيِّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ. ٣٠ حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقِطِي عَلَيْنَا وَلِلْأَكَامِ: عَطِّينَا» (لوقا ٢٣). «وَيَدْخُلُونَ فِي مَعَايِرِ الصُّخُورِ وَفِي حَفَائِرِ التُّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ لِيُرْعَبَ الْأَرْضَ.» (إشعيا ٢: ١٩) «... فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلَا يَجِدُونَهُ، وَيَرِغَبُونَ أَنْ يَمُوتُوا فَيَهْرُبُ الْمَوْتُ مِنْهُمْ» (رؤيا ٩: ٦).



الفصل العاشر

التحدي الثامن، واحتراق الأرض والمصنوعات التي فيها.

بعد اختطاف الكنيسة لِسُحب المجد، وانتهاء النظام العالمي الجديد بالضيقة العظيمة، يبدأ مُلك المسيح على الأرض، والذي يدعى بالملك الألفي، و«أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر»، و«العالم العتيد» الذي لم يُخضعه الله للملائكة بل لابن الإنسان. إنه الملك الذي فيه تُعتق الخليقة من عبودية الفساد لتشارك أبناء الله في حريتهم ومجدهم.

لقد رزحت الأرض زماناً طويلاً تحت ظلم الشيطان، وسوء حكم الإنسان. ولكن في ذلك المُلك ستنتهي (أزمنة الأمم)، وذلك الحجر الذي قُطع بغير يدين محطماً تمثال الأمم، سيصير جبلاً عظيماً يملأ كل الأرض، ويُقيم «إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا» (دانيال ٢: ٤٤). ويتم المكتوب «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكِ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ» (رؤيا ١١: ١٥).

إن جميع الذين دخلوا الملك الألفي من يهود وأمم هم أبرار فعلاً، ولكن نسلهم ليس بالضرورة مثلهم. إذ سيكون الأبناء وارثين للطبيعة البشرية الساقطة، وبالتالي سيكون البعض منهم عُرضة للخطأ في حق الرب بدون محرض شيطاني، لأن الشيطان نفسه سيكون طيلة مدة الملك الألفي سجيناً في الهاوية مع الملائكة الأشرار لكي لا يضل الأمم.

ولكن نظراً لطول الأعمار لنهاية الملك الألفي سيكون سن المسؤولية لدى الإنسان، عندما يبلغ من العمر مائة سنة. وبمجرد أن تصدر أول خطية إرادية من غير المتجدد، يُقضى عليه القضاء العاجل « ٢٠ لَا يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلُ أَيَّامٍ وَلَا شَيْخٌ لَمْ يُكْمَلْ أَيَّامَهُ. لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنٌ مِثْلَ سَنَةِ وَالْخَاطِيءُ يُلْعَنُ ابْنٌ مِثْلَ سَنَةِ» (إشعيا ٦٥). وهكذا يموتون في ذات يوم خطيتهم وإذ يموتون يهلكون

إلى الأبد، لأنه لا فرصة جديدة للتوبة. وهذا ما سيجعل الكثيرين مُرضين الرَّبِّ، وخاضعين له خوفاً من المصير المحتوم إن أخطأوا، كقول المرمن: «قُولُوا لِلَّهِ: مَا أَهْيَبَ أَعْمَالِكَ. مِنْ عَظِيمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ» (مزمو ٦٦: ٣).

في هذا المُلْك ستحدث تغييرات كبيرة في كلِّ الخليقة، إذ تنفجر المياه في البرية، وتندفق الجداول في الصحراء، ويتحول السراب إلى واحة، والأرض الظمأى إلى جداول. ولكثرة الغلات يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الحب، وتكتسي التلال سندساً، وتفيض التلال بالمواشي.

في ذلك اليوم تتحول كل الحيوانات الآكلة اللحوم إلى حيوانات عاشبة يعم السَّلام فيما بينها. فيسكن الذئب مع الخروف، ويبيت النمر بجانب الجدي. ويرعى العجل والشبل معاً، وتصاحب البقرة الدب، ويبيت أولادهما معاً. ويأكل الأسد التبن كالثور. ويرعى العجل والشبل معاً، وصبي صغير يسوقهما. ويلعب الرضيع على وكر الأفعى، ويضع يده في مكنم الثعبان دون خوف (إشعيا ١١ + ٦٥).

وتبصر عيون المكفوفين وتنتفح أذان الصم، ويطفر الأعرج كالظبي، ويترنم لسان الأبكم فرحاً. ولن يكون هناك طفل يموت بعد أيام، ولا شيخ لا يستكمل أيامه. ومن يموت ابن مئة سنة يعتبر فتى، ومن لا يبلغها يكون ملعوناً.

ويغرس الناس كرومهم ويأكلون ثمارها، وينون بيوتهم ويقيمون فيها. لا يبنون ليأتي آخر فيسكن فيها، ولا يغرسون كروما ليجنحها آخر، لأن أيام الناس تكون مديدة كأيام الشجر. ويتمتع مختاري الرب بعمل أيديهم. والأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر. ويسكب الرب روحه على كل بشر، فيتنبأ البنون والبنات، ويحلم الشيوخ أحلاماً ويرى الشباب رؤى، لأن هذا هو زمن «قوات الدهر الآتي».

ويكون في ذلك الوقت أن الرب يملك في أورشليم التي تُسَطَّح كلُّ الجبال حولها لتصبح منبسطة مستوية، فتدعى أورشليم «الرَّبُّ بِرُّنًا»، وجبل رب الجنود يدعى الجبل المقدس، الذي يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتُقبل شعوب كثيرة إليه ونقول:

تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طريقه، ونسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تُعلن كلمة الرب (إشعيا ٢: ٣ و٢). فيقضي الرب بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محارث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد.

سيكون مجد حضور المسيح في وسط إسرائيل منيراً على جميع أمم الأرض. وسيكون صعود الأمم إلى أورشليم من أهم مظاهر العصر الألفي حيث سيختلط هناك العبرانيون مع الأمم آخذين طريقهم إلى جبل بيت الرب متحدثين معاً في التسبيح ليتمتعوا بعبادة شخص المسيح الملك، والرب.

في ذلك اليوم تُدعى أورشليم «مدينة الله» (مزمو ٤٦: ٤). و«مدينة الملك العظيم» (متى ٥: ٣٥) و«المدينة المقدسة» (دانيال ٩: ١٤) و«المدينة المحبوبة» (رؤيا ٢٠: ٩) و«مدينة الحق» (زكريا ٨: ٣). حيث يكون فيها عرش داود الذي يجلس عليه الرب كالحاكم الأعلى لكل العالم، وعند ذلك «يخجل القمر وتخزي الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد» (إشعيا ٢٤: ٢٣).

باختصار ستكون مدينة أورشليم طيلة الحكم الألفي مركز اهتمام كل العالم. فالمدينة التي هُدمت بالحروب (دانيال ١١: ٤١) وبالزلازل (رؤيا ١١: ١٣ + حزقيال ٣٨: ١٩)، ستبنى من جديد، وعلى الأرجح بحسب رؤيا (حزقيال ٤٨). حيث تكون مربعة الشكل، طول ضلعها تقريباً (كيلومتريين وربع الكيلومتر) أي محيطها نحو (تسعة كيلومترات)، وعلى كل ضلع ثلاثة أبواب تكون مفتوحة بشكل دائم. وستجري من أورشليم مياه حية يصب نصفها في البحر الشرقي (البحر الميت)، ونصفها الآخر في البحر الغربي (البحر الأبيض المتوسط) طوال الصيف والشتاء. وتتحول الأرض كلها من جيع شمالاً إلى رمون جنوباً، إلى سهل كسهل عربية. أما أورشليم فلا تبرح شامخة في موقعها، لتكون بهجة كل الأرض وفرح كل الأجيال، وسكانها معروفون بأنهم (نسل باركه الرب).

ومنها سوف يذهب بنو إسرائيل كمرسلين إلى كل بقاع الأرض «وأجعلُ فيهم آيةً وأرسلُ منهم ناجين إلى الأمم .. إلى الجزائر البعيدة التي لم تسمع خبري ولا رأيتُ مجدي فَيُخبرون بمجدي بين الأمم»^١، «ويُكرزُ بِبشارة الملوكِ هذه في كلِّ المسكونة شهادةً لجميعِ الأمم. ثمَّ يأتي المُنتهى»^٢.

يا له من زمن مجيد، تطلَّع الناس إليه على مر الأجيال. كان حلمهم أن يعيشوا بسلام. أن يأكلوا ويشربوا حتى الشبع. أن يبنوا ولا أحد يهدم. أن يروا أولادهم وأحفادهم أمام عيونهم دون أمراض وأوجاع. أن يملك عليهم من يحقق العدل، ولا يحابي بالوجوه، فلا يشعرون بظلم، ولا يقلقون من حُكم.

وإذ ينتهي المُلْك الألفي السعيد، يكون النسل الراض للرب في قلبه -رغم عبادته وخضوعه الظاهر- قد تكاثر عدده كثرة هائلة ناتجة عن الولادة بدون موت مدة الألف سنة. ولأنَّ هذه صورة مزيفة بعيدة عن الحقيقة فلن يقبلها المسيح المَلَك، لذلك متى تمت الألف السنة، سيحل الشيطان (زماناً يسيراً) من سجنه (رؤيا ٢٠: ١ - ٣)، ومعه الملائكة الأشرار، ليعمل على إظهار حقيقة هؤلاء المتملقين الذين سيشقون عصا الطاعة على المسيح المَلَك، إذ يقومون بثورة عالمية تعم كل المسكونة للتمرد عليه ولقتاله!

«٧ ثمَّ متى تَمَّت الألفُ السَنَّة يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، ٨ وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأممَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ رَوَايَا الأَرْضِ: جُوجُ وَمَاجُوجُ، لِيَجْمَعَهُمُ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ البَحْرِ. ٩ فَصَعِدُوا عَلَى عَرَضِ (سهول) الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ القِدِّيْسِيِّنَ وَبِالْمَدِينَةِ المَحْبُوبَةِ (أورشليم)، فَتَرَلَّتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ

١ - (اشعيا ٦٦: ١٩).

٢ - لاحظ أن البشارة هي لجميع الأمم، أي خارج نطاق المجتمع اليهودي، وبالتالي من سيحمل البشارة هم بنو إسرائيل. أما الافتراض أن الكنيسة هي التي ستبشر كل الأمم فهو مرفوض، لأن الكنيسة ليس دورها أن تبشر الأمم فقط، بل الأمم واليهود معاً.

٣ - (متى ٢٤: ١٤).

٤ - يبدو أن تعبير جوج و ماجوج يعني كل الناس.

ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، سفر الرؤيا. ص ٢٥٥.

مِنَ السَّمَاءِ وَأَكْنُتُهُمْ» (رؤيا ٢٠). «وابليسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ (الأمم) طُرِحَ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ وَالْكَبْرِيتِ حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ وَسَيَعَدُّونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ^١» (رؤيا ٢٠: ١٠)

لن يكون إبليس وحده في هذا المصير الرهيب، بل معه أيضا كل ملائكته الأشرار مطروحين في «النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (متى ٢٥: ٤١). بما فيهم تلك المجموعة الملائكية الأثيمة الذين «قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلْسِلِ الظَّلَامِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ» (٢ بطرس ٢: ٤) ... «الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودِ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلَامِ» (يهوذا ٦).

«٧ وأما السماوات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار» (٢ بطرس ٣). «لأنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١ كورنثوس ٧: ٣١). «الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِصَحِيحٍ، وَتَنْحَلُّ الْعُنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا» (٢ بطرس ٣: ١٠).

إن احتراق السماء والأرض مرتبط بدينونة العرش العظيم الأبيض، حيث نهاية هذا العالم الحاضر وكل ما فيه، لأنه سيتلاشى نهائياً، ويحل مكانه عالمٌ جديدٌ أبدي يليق بسكنى الله مع الناس، تكميماً لقصد الله من البداية، عندما خلق آدم ودخل في شركة معه.

بعد ذلك تكون القيامة الثانية، وهي لكل الأشرار عبر التاريخ، «وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَمْوَاتِ^٢ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتَمَّ الْأَلْفُ السَّنَةِ^٣» لتتم دينونتهم.

^١ - إن وجود الوحش والنبي الكذاب في البحيرة المتقدة بنار وكبريت قبل الشيطان بحوالي ألف عام تأكيد على خلود الأشرار في العذاب ويطلان نظرية تلاشي الأشرار.

^٢ - غير المؤمنين من كل العصور الذين سيقامون عند نهاية الملك الألفي ليدانوا أمام العرش العظيم الأبيض. ولهم مكذونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن، ج ٢. ص ١٦٨٠.

^٣ - (رؤيا ٢٠: ٤ - ٥)

«ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشاً عَظِيماً أبيضَ والجالسَ عليه الَّذي من وجهه هربتِ^١ الأرضُ والسَّماءُ ولم يُوجَدْ لهما موضعٌ. ورأيتُ الأمواتَ (غير المؤمنين) صغاراً وكباراً واقفينَ أمامَ الله وانفتحتْ أسفارٌ وانفتحَ سفرٌ آخر هو سفرُ الحياة ودينِ الأمواتِ ممَّا هو مكتوبٌ في الأسفارِ بحسبِ أعمالهم^٢. وسلَّم البحرُ الأمواتِ الَّذينَ فيه وسلَّم الموتُ والهاويةُ الأمواتِ الَّذينَ فيهما ودينواكلٌ واحدٌ بحسبِ أعماله. وطُرحَ الموتُ^٣ والهاويةُ في بحيرةِ النَّارِ. هذا هو الموتُ الثاني. وكلُّ من لم يوجدَ مكتوباً في سفرِ الحياةِ طُرحَ في بحيرةِ النَّارِ» (رؤيا ٢٠: ١١-١٥)

سيُخرج الربُّ أرواح الأشرار على مر التاريخ من سجن الهاوية ويُلْبَسُهُمْ أجساداً مكتسبة صفة الخلود. وبعد محاكمة كل منهم بحسب أعماله، يُطرحون جميعاً في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، مشهوداً عليهم جميعاً بعدم نوالهم الحياة الأبدية في المسيح يسوع، بسبب رفضهم له، كلُّ منهم في عهده. وهناك في البحيرة المتقدة بنار وكبريت ستكون «نارهم لا تطفأ ودودهم لا يموت»، ودخان عذابهم يصعد إلى أبد الأبد. إنها نهاية تحدي الإنسان، ورد الله.

«١٣ ولكننا بحسبِ وعده ننتظرُ سمواتٍ جديدةً وأرضاً جديدةً^٤ يسكنُ فيها البرُّ»^٦ (٢ بطرس ٣) ... «٣ وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «هُوَذَا مَسْكُنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. ٤ وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ

١ - أي أنه قد تم تدميرها تماماً.

ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، سفر الرؤيا. ص ٢٥٧.

٢ - إن سجل الأعمال لكل شخص هو الذي سيحدد درجة عقابه.

٣ - أي ملاك الموت، قارن (رؤيا ٦: ٨). أما طرح ملاك الموت في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، المقر الأبدى لكل ما يتعلق بالخطية، فهو إشارة إلى نهاية عمله.

٤ - أي ملاك الهاوية، قارن «وَهَذَا مَلَأُ الْهَاطِيَةِ مَلِكاً عَلَيْهَا اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبْدُون» وَهُوَ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ «أَبُولْيُون»» (رؤيا ٩: ١١)

٥ - لن يكون في هذه الأرض الجديدة بهائم وأسماك وطيور لأن حالة الخليقة العاقلة فيها لا تستلزم طعاماً ولا شرباً ولا تناسلاً.

٦ - هنا يسود البر وتتفني الخطية تلقائياً، بينما في الملك الألفي سوف يملك المسيح بعضاً من حديد ليفرض البر.

الأولى قَدْ مَضَتْ». ٥ وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَذَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً». وَقَالَ لِي: «اكْتُبْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ». ٦ ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ» (رؤيا ٢١). وبهذا ينتهي الشر من كل الوجود، وتتم مقاصد الله الصالحة من نحو الخليقة.

بعد احتراق كل شيء وتشكل الأرض الجديدة والسماء الجديدة ستكون حالة من البر تشمل السماء والأرض. في تلك الحالة ستكون الكنيسة -عروس المسيح- قد استوطنت في بيت الآب، حيث هناك مقرها النهائي والأبدي. بينما ستكون الأرض الخالية من البحر، من نصيب قديسي العهد القديم، الموعودون بالأرض، أصدقاء العريس^١. إضافة إلى مؤمني الضيقة، وكل من لم يمت في الحكم الألفي. هؤلاء سيلبسون أجساداً مجيدة ويعيشون إلى الأبد حياة لا يحتاجون فيها طعاماً أو شرباً أو زواجا، بل سيكونون كملائكة الله، يعيشون في بر وسلام وفرح.

«وبعد ذلك النهاية متى سلّم (المسيح) المُلْكُ لِلَّهِ الْآبِ متى أبطل كلَّ رياسةٍ وكلَّ سلطانٍ وكلَّ قوَّةٍ. لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ^٢. لِأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. وَلَكِنْ حِينَما يَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أَخْضَعَ فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمتى أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ فحينئذٍ الابنُ نَفْسَهُ أَيْضاً سِيخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كي يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ» (١ كورنثوس ١٥: ٢٤ - ٢٨).

وإذ أجد نفسي عاجزاً أمام هذه الكلمات أردد قول الرسول بولس: «٣٣ يَا لَعْمَقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطَرَقَهُ عَنِ الْاسْتِثْصَاءِ! ٣٤ «لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ ٣٥ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيَكافأ؟». ٣٦ لِأَنَّ مِنْهُ وَيِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ» (رومية ١١).

١- (تكوين ١٢: ٧-١، تكوين ١٥، تكوين ١٧: ١-١٤، تكوين ٢٢: ١٥-١٨)

٢- هذا ليس في زمن الحكم الألفي، حيث هناك البعض يموتون. لكن عند دينونة العرش العظيم الأبيض، عندما يُطرح الموت والهاوية في بحيرة النار.

المراجع

- ١- القس ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، ترجمة نيكلس نسيم. طبعة أولى. القاهرة: دار الثقافة - ٣٧٨ ص
- ٢- ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر الرؤيا، ترجمة شوقي غطاس. طبعة أولى. القاهرة: دار الثقافة- ٢٨٣ ص
- ٣- وليم مكدونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن (العهد الجديد). بيروت: Multi Press - جزأين.
- ٤- الأب متى المسكين، تفسِيرِ إنجيلِ لُوقًا. مطبعة دير القديس أنبا مقار. مصر.
- ٥- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ترجمة شركة ماستر ميديا. القاهرة- ٣٠٣٨ ص
- ٦- سلسلة عالم المعرفة، ج ٤٤٧، مستقبل العقل. تأليف ميشيو كاكو، ترجمة سعد الدين خرفان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- ٤٢٧ ص.
- ٧- **Mickelson's Enhanced Strong's Greek and Hebrew Dictionaries**

كُتُبُ لِلْمُؤَلِّفِ

- ١) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ١، ٢٦٣ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٥.
- ٢) هل حقا يسكن الله في خيمة، ١٦٠ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٣) الكنيسة والعبادة، ٢٣٧ صفحة. عقائد. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٨.
- ٤) مُخَلِّصُ الْعَالَمِ، ٤٤٦ صفحة. دراسة إنجيلية، صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٢.
- ٥) الْحَقِيقِيُّ وَالْمَزِيْفُ، ٨٠ صفحة. أقاصيص. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- ٦) هل نحتاج إلى الله، ١١١ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
- ٧) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ٢، ١٨٥ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٦.
- ٨) من يصنع هُويَّتي، ٨٦ صفحة. بحث اجتماعي مسيحي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٧.
- ٩) ملائكةُ اللَّهِ الْمُقْتَدِرُونَ قُوَّةً، ١١٧ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٨.
- ١٠) سلسلة (أَحَبَّبْتُ شَرِيْعَتَكَ) ج ١+ج ٢. باقة من العظات. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٩.

منذ البدء كان قصد الله من الخلق أن يدخل الإنسان في شركة معه ليتمتع بحياته، ويعيش عالمًا فرحاً. لكن الإنسان أخطأ بعدم تجاوبه مع محبة الله، فلتشوهت العلاقة بينه وبين الله، وأل تعادى الإنسان في أخطائه قرر أن يشق عصا الطاعة، ويعلمن تعرده على الله في كل مراحل تاريخه. هذا الكتاب يتحدث عن مجموعة من التحديات البشرية لله منذ بداية التاريخ، وحتى نهاية الزمان. فيها نجد إصرار الإنسان على تحدي الله باحتقار محبته، وطريقة رد الله على تحدي الإنسان.

9 789953 000000



9 789953 000000